15 em Année No. 752

Lundi — 1 — 12 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ محرم سنة ١٣٦٧ — أول ديسمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

لا إله اليوم إلا الهوى !

أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؟ ذلك هو إنسان اليوم ، وإن شئت فقل هو إنسان الدهر كله ! زعم ابن آدم أنه عرف الله وعلم الحق وحكّم العقل وآثر العدل وتوخى السلام ، وراءى بعضه بعضاً فتظاهروا بالتصديق ، ونافقوا بالإيمان ، وشقشق خطباؤهم بالهدى ، وتشدق شعراؤهم بالحكمة ؛ وفى قرارة كل امرئ أن الله معناه الهوى ، وأن الحق معناه المنفعة ، وأن العقل معناه الحيلة ؛ فأنا وأنت وهو إنما نذكر عزائم الله وفضائل الخُلق وفرائض القانون إذا لم يكن من ذكرها بد لإدراك الغنيمة مع الراحة ، أو اتقاء الهزيمة عند العجز . وغاية السياسة الآدمية أن تكون ثعلباً مع الضعف وأسداً مع القوة !

أزِلْ عن عينك إن استطعت ما غشيها من رياء الإنسانية وخداع المدنيـة ، ثم انظر إلى حقيقة الإنسان فى نفسك ، وفى عشرائك فى البيت ، ورفقائك فى المدرسة ، وخلطائك فى القهوة ، وزملائك فى العمل ، ورؤسائك فى الديوان ، ونوابك فى البرلمان ، ووزرائك فى الحكومة ، فلا تجد إلا غرائز الحيوان الوحش تسمّت بأحسن الأسماء ، وتزيّت بأجمل الأزياء ، وتجلّت فى أبهى المناظر : فالتفارس تنافس ، والأثرة محبة ، والطمع طموح ، والاستغلال تعاون ، والاستعمار تحالف ، والقوة حق ، والضعف عفة ، والحرمان قناعة ، والختل سياسة ، والشعوذة دين ، والعصبية وطنية !

قد يخدعك الغطاء الذهبى على الناب ، والقفاز الحريرى على المخلب ، فتحسب أن هذا الإنسان الذى هتك بعلمه أستار الطبيعة ، وكشف بعقله أسرار الوجود ، قد هذبه العلم وصقله التمدن ، فارتفع من الأرض إلى السماء ، وانتقل من الحيوان إلى الملَك ؛ ولكن خلافاً يشجر بين الإخوة على ميراث ، أو شقاقاً ينشأ بين الزعماء على منصب ، أو نزاعاً يحدث بين الدول على بلد ، يستطيع أن يشق الذهب ويمزق الحرير فترى الوحش الآدمى على جبلّته بادى النواجذ متقد العينين ، يتحلب الريق من أنيابه ، ويقطر الدم من أظفاره !

ها نحن أولاء ، كنا نظن لوفرة المساجد فى المدن والقرى ، وكثرة السُّبح فى الرقاب والأيدى ، وتنافس الفقراء فى إقام الصلاة ، وتسابق الأغنياء إلى أداء الحج ، أن الدين قد سيطر على القلوب وهيمن على الضمائر... فلما ابتلانا الله بوباء الهيضة الجارف ، ووقع الإيمان المزيف تحت المحك ، تمزقت الأغشية عن عفن فى نفوس أكثر الأغنياء والأطباء والمسئولين كان أزكى روائحه الرشوة والشح والسرقة والتواكل والتخاذل والتفريط والقسوة... وكل هذه الموبقات مشتقات من مصدر واحد هو الأثرة !

وهذه هيئة الأمم المتحدة ، كنا نظن لفرط ما عانى الحلفاء من أهوال الحرب ، وكابدوا من نتائجها ، أنهم يقيمون العالم الجديد على قواعد الميثاق الأطلسى الأربع ؛ فلما تقدمت مصر وفلسطين إليها تستعديان قُوى ميثاقها على بغى انجلترا وجور أمريكا لم تجدا فى قاعة مجلس الأمن إلا مجمع الوحوش والبهائم الذى تخيله (لافونتين) فى الغاب !

إن الرجل يعمل لنفسه ثم لأبنائه ، وإن الحزب يعمل لرئيسه ثم لأعضائه ، وإن الشعب يعمل لمليكه ثم لوزرائه ؛ فمن زعم أن الأنانية تتجه إلى الغيرية ، وأن الحزبية تعمـل للوطنية ، وأن الوطنية ترمى إلى الإنسانية ، فقد زور على الإنسان وكذب على الطبيعة !

(القاهرة) احمد حسن الزيات

١٤ ـ رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

مدينة أكرا

سار بنا القطار والساعة ثمان وخمس وأربعون دقيقة من صباح السبت ثالث عشر جمادى سنة ١٣٦٦ هـ . وخامس نيسان سنة ١٩٤٧ م من دهلى إلى أكرا .

والسافة بينهما زهاء أربع ساعات . واستقبلنا على محطة أكرا جماعة من بيت كنش لال أحد أعيان المدينة وأحد تجار الهند المعروفين فى القاهرة . وأردنا أن ننزل بفندق كبير هناك اسمه إمبريال . وبينا نجلس فى ساحة الفندق ننتظر جواب سؤالنا عن غرف فى الفندق ، جاء رجل هرم يحمل عصافير مرتبطة بخيوط ، فجلس إلينا وشرع يعرض أعاجيبه . رمى بحلقة فى الهواء وأشار إلى عصفور فأدركها فالتقطها قبل أن تقع على الأرض وردّها إليه . وأشار إلى عصفور آخر فطار إلى شجرة قريبة فقطف منها ورقة وجاء إلى صاحبه . ووضع بطاقات من بطاقات اللعب مقلوبة وذكر عدداً فأخذ عصفور يقلّب الأوراق حتى قلب البطاقة ذات العدد المذكور وأخذها بمنقاره وسلّمها إلى معلّمه . ثم جاء بأعواد عليها بكرة صغيرة فيها خيط ينتهى إلى دلو صغير وأشار إلى عصفور فشرع يمسك الخيط بمنقاره ويجرّه حتى يضمه تحت رجله ثم يأخذه كرة أخرى فيطويه تحت رجله حتى طوى الخيط وطلع الدلو فمدّ منقاره إليه وجذبه إليه كأنه يستقى ماء من بئر برشاً ودلو . فقلنا : إحدى عجائب الهند .

ولم نجد غرفاً بالفندق فسرنا إلى دار كنش لال فلبثنا إلى اليوم الثانى فى حفاوة وإكرام فاستحق المضيّفون ثناءنا وشكرنا

***

وأكرا مدينة يسمى باسمها إقليم . وهذا الإقليم وإقليم أوده يؤلفان ولاية كبيرة تسمى .U. P وهذا رمز لاسمها بالإنكليزية : Uvenited Provinees وتسمى فى الهند : ممالك متحدة .

والمدينة مثل دهلى ، ذات مكانة تجارية وحربية عظيمة . ويمرّ بالمدينتين كلتيهما نهر جمنه أحد أنهار الهند الكبيرة .

وقد عرف ملوك الهند حصانة هذه البقعة بمكانها من هذا النهر فاتخذوا مدينة أكرا حاضرة للملك أو إحدى حواضره .

وقد اتخذها السلطان اسكندر اللودى داراً للملك بدل دهلى وهو من الأسرة اللودية التى تسلطت فى الهند من سنة ٨٥٥ إلى ٩٣٢ هـ . وإنما آثرها على دهلى حينما عرف غناءها فى ضبط الثائرين عليه فى الجنوب . فعظمت مكانتها من ذلك الحين .

ولما جاء إلى الهند الرجل العبقرى بابر ، وقد أسلفنا ذكره ، فتح أكرا سنة ٩٣٢ . وأخذ فيما أخذ من مغانمها الماسة المعروفة باسم كوه نور أى جبل النور . وفى أكرا آذنَ بابرُ بأن فتحه الهند ليس غارة موقوتة ولكن ملكا مؤثلا. ولما ملك جلال الدين أكبر حفيد بابر بنى قلعة أكرا ، القلعة الحمراء التى تمتد أسوارها على نهر جمنة ميلا ونصفاً .

وازدادت المدينة وأرباضها منذ بنى أكبر قلعته ، بعجائب من أبنية السلاطين التيموريين بل بمفاخر من الحضارة الإسلامية وصناعاتها . ففى أكرا القلعة والتاج والمسجد ، وفى سكندرة مزار أكبر وآثار أخرى . وعلى مقربة من المدينة فتح بورسكرى وهى مزدحمة بآثار عظيمة رائعة .

مزار أكبر

خرجنا والساعة خمس مساء إلى سكندرة لنزور ضريح جلال الدين أكبر .

ولا يعرف روعة التوجه إلى زيارة ضريح أكبر إلا من عرف تاريخ هذا الرجل الذى لا يعرف تاريخ الإسلام بل تاريخ العالم من الملوك أمثاله إلا قليلا .

ذكرت آنفاً ظهير الدين بابر مقيم الدولة التيمورية أعظم الدول الإسلامية فى الهند . وكذلك ذكرت ابنه همايون .

وجلال الدين أكبر الذى أتوجه لزيارته الآن هو ابن همايون وحفيد بابر . وضع هذان له القواعد ليشيد ملكا عظيما ، ويوطد دولة ينبسط سلطانها على الهند إلا قليلا ، ويترك على الزمان سيرة

فى الفتح والعدل والحضارة والعمارة لا تزال مثار إعجاب وتعجب . ولا تزال مفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامى .

توفى همايون بعد أن استردَّ ملكه فى الهند ، وابنهُ جلال الدين فى الرابعة عشرة من عمره . فدبر له الملك بايرام خان فدفع عنه الطامعين ، وأخضع الثائرين ، ولم تأخذه فى إقرار السكينة ، والنظام هوادة ولا شفقة . فلما سكنت الفتن واستوسق الأمر تولى جلال الدين تدبير الملك ولما يَعدُ الثامنة عشرة . وقد حاول هذا الوصى أن يقتطع له إمارة فى أرجاء المملكة وثار على أكبر إلى أن اضطر إلى التسليم له . فأحسن الملك الشاب إلى وصيّه وخيّره بين أن يتولى منصباً عالياً فى الجيش أو يسير إلى الحج مرفّهاً فى موكب عظيم . فاختار الحج .

وكان عفو أكبر عن بايرام خان وإحسانه إليه إيذاناً بسيرة صالحة رفيقة ، سارها أكبر طول عمره .

ثبّت جلال الدين أكبر سلطانه فى أرجاء المملكة كلها . ومدّ فتوحه حتى لم يبق من الهند خارجاً عن سلطانه إلا قليل . ودان معظم الهند له واستقامت الأمور لحكمته وحكمة زمان سلطانه المديد وقد ملك أكثر من خمسين عاماً .

وكان مولعاً بالفتوح البعيدة ، واجتياز الفيافى الموحشة ، وركوب الخيل الجموحة ، واخترع نظماً للجيش وأسلحة . وكان مثالا عالياً فى قيادة الجيوش ، وركوب الأهوال . ولكن هذه الشجاعة والجرأة والفتح والسفر لم تكن إلا أقل مزاياه . فقد كان فى السلم والعمران أعظم منه فى الحرب .

سنّ من القوانين ، وخطّ من الخطط فى مسح الأرض وريّها وجباية الخراج ما يشهد بسعة فكره ، وبعد إدراكه ، وقد بقيت بعض سننه متبعة فى الهند إلى هذا العصر .

وجمع هذا الرجل الأمى حوله من أدباء العالم وشعرائه وكتابه وعلمائه وفلاسفته جمعاً كبيراً حتى كان فى كنفه من شعراء الفارسية زهاء خمسين شاعراً .

وقد جاءه الصناع من أرجاء العالم من آسيا وأوروبا .

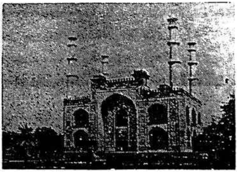
وأنشأ المدارس فى أنحاء المملكة ليعلم فيها المسلمين وغيرهم على السواء . وبنى خزائن الكتب وجمع فيها نفائس الكتب من الأقطار وافتنّ فى صناعة التجليد والتذهيب حتى أنفقت على بعض الكتب آلاف الدنانير ، وقد أبطل العادات الوحشية فى الهند مثل إحراق الزوجات بعد موت أزواجهن .

وحاول أن يُشيع المحبة والمودة والأخوة بين الناس بجمعهم على دين واحد . فألّف من الإسلام والمجوسية والنصرانية وأديان أخرى ديناً سماه « التوحيد الإلهى » وبنى معبداً لهذا الدين ودعا الناس إليه فاتبعه قليل بالرغبة والرهبة . فلما مات لم يبق على دينه أحد .

***

سرنا إلى سكندره حيث ضريح هذا الملك العجيب ، وفى النفس ثورة من ذكرياته بين سفره وحضره ، وحربه وسلمه ، وصوابه وخطئه ، إلى قياس يتردد بين الماضى والحاضر ، للنفس فيه حيرة وحسرة .

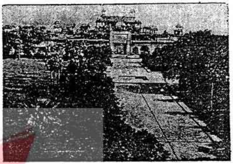
على نحو خمسة أميال من أكرا استقبلنا هذا البناء الهائل الرائع الذى تعاون على إنشائه المُلك والثراء والصناعة بضعة عشر عاماً بين عهد أكبر وعهد ابنه جهانكير . هذا المدخل المفضى إلى الحديقة الغنّاء الفسيحة التى تحيط بالمزار . ولو أن هذا المدخل وحده شيد فوق ضريح ملك عظيم لكافأ عظمته وحُسب بناء فخماً من أبنية الملوك العظيمة . بناء يعلو أربعاً وسبعين قدماً تقوم فى أركانه الأربعة أربع منارات رفيعة تعلو كل واحدة فوق هذا البناء ستاً وثمانين قدماً . ويلقى هذا المدخلُ القادم إليه بعقد عال فخم فيه باب فوقه عقد يشابهه . وعلى جانبى العقد الكبير وجهتان فى كل منهما عقدان (كما يرى فى الصورة) :



مدخل الحديقة التى فيها ضريح جلال الدين أكبر

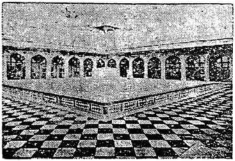
ويفضى هذا المدخل إلى حديقة واسعة تزدحم فيها الخضرة والنضرة ويتوسطها طريق واسع مبلط فيه أحواض ومجارى مياه ونافورات فى هندسة جميلة .

ثم البناء الشامخ الرائع ، خمس طبقات ذات عقود وأبراج ، كل واحدة أكبر مما فوقها وأصغر مما تحتها كأن كل طبقة قاعدة للتى قبلها .



مزار جلال الدين أكبر شاه

صعدنا الطبقة الأولى التى تلى الأرض فهبطنا فى دهليز منحدر إلى قاعة فى وسطها صفيحة واحدة من الرخام تحتها رفات جلال الدين أكبر شاه . وقفنا نقرأ آيات على القبر ونقرأ سطوراً غير مكتوبة من وحى التاريخ وإملاء الزمان .



مثال قبر جلال الدين فى أعلى البناء

ثم صعدنا إلى الطبقات الأخرى حتى الطبقة العليا وهى سطح محاط بدرابزين من الرخام الأبيض أبدعت فيه الصناعة شكيلا وتخريماً . وفى وسطها دكة واسعة مربعة عليها مثال القبر الذى فى بطن الأرض . وقد يخيل لى هذا المنظر العجيب فما يحسب الزائر وهو يصعد فى هذه الطبقات أن يلقاه فى قمتها هذا التمثال بعد أن زار القبر فى موضعه من جوف الأرض .

ويطلع الزائر من هذه القمة على مشاهد رائعة من الجمال والجلال وعلى عبر متقاربة وعظات متوالية . فهو ينظر إلى هذا الهيكل العظيم تحار فيه العين بين عقوده وعمده وقبابه ، تتوالى طبقاته فى نظام محكم ، وهندسة عجيبة . فإذا رمى ببصره فى الفضاء مفكراً أخذته مشاهد من الأبنية الأثرية بين الشجر ، كل منها تاريخ مبهم ، وكل منها كتاب مطبق ، وكل منها مجد غابر وعبرة حاضرة . ويسحر العين على القبر وعلى عقود الداخل آيات قرآنية أجيد خطها أو نحتها على الرخام .

يقال أن أكبر نفسه بدأ هذا البناء وأتمه ابنه وخليفته جهانكير بعد أن عمل فيه البناءون والصناع عشرين عاماً ويقال إن جهانكير بناه وحده فى سبع سنوات .

ومهما يكن الأمر فقد أكمل هذا الأثر الخالد سنة ١٠٢٩هـ . وقد مرت عليه حوادث وزلازل ؛ ولكنه لا يزال شاهداً بعظمة أكبر وجهانكير ، ناطقاً بما بلغت الحضارة والأبهة فى ظلال هذه الدولة العظيمة ، أكبر الدول الإسلامية فى الهند . ومن أعظم الدول التى عرفها التاريخ

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

لبيـــك يا فلسطين!

للأستـــاذ محمود محمد شاكر

لقد عزمت الأمة العفيفة النبيلة الورعة ، وهى بريطانيا العظمى بلا مراء ، أن ترفع يدها عن فلسطين ، وأن تجلو بجنودها عن هذه الأرض المطهرة ، وأن تترك الأمر لأصحاب البلاد ، هكذا ، يصرفونه على ما توجبه مصالحهم ! ! وفى هذا الوقت نفسه قامت روسيا السوفيتية الغامضة تؤازر أمريكا الصريحة فى صهيونيتها على تقسيم فلسطين تقسيما لا يدرى المرء كيف يصفه ، أهو حماقة ، أم جور ، أم صفاقة ، أم نذالة مركبة فى طبائع الأمم الجشمة ؟ ثم رأينا بريطانيا هبت تستنكر ، أو تقول الصحف وألسنة الساسة أنها تستنكر هذا الذى تبيته روسيا وأمريكا لفلسطين .

هذا ملخص ما يدور فى أمر فلسطين دون تزويق أو تدليس . ونحن لا نريد أن نبخس بريطانيا حقها فى هذا الموقف الذى تقفه من مسألة فلسطين ، ولكنا أيضاً لا نريد أن نلغى تصرف العقل فنصدق أن هذه الأمة البريطانية تفعل هذا حباً للعرب ، وحفاظاً على حريتهم ، ورغبة فى معونتهم ونصرتهم . فإنها هى التى نفثت فى هذه الصهيونية الخبيثة من روحها منذ دخل الرجل الصليبى « ألنبى » أرض الآباء المطهرة ، وهى التى ضمنت لهؤلاء الصعاليك إنشاء وطن قومى فى فلسطين ، وهى التى أغضت عن تسلل هؤلاء اللصوص إلى بلاد ليست لهم ، وهم الذين نكلوا بالعرب تنكيلا لم يشهد التاريخ أفجر منه ولا الأمَ أيام ثورة العرب عليهم وعلى جلائهم من اليهود ، وهى التى استعانت باليهود فى الحرب العالمية الثانية ودربتهم وجندتهم وفتحت لهم أبواب الأرض المقدسة ، وهى التى أعانت تهريب اليهود وحمتهم ووقفت تعبث فى مراقبة الهجرة اليهودية ، وهى التى صبرت على إذلال اليهود لها وعلى جلدهم جنودها وضباطها واغتيالهم وخطفهم واتخاذهم رهائن ، هذه بعض فضائل بريطانيا وشىء من نبيـل مواقفها فى مسألة فلسطين ! !

وبعد أن فعلت كل هذا طلباً للأجر والحسبة من الله خالقهم وخالق الصهيونيين ، زعمت أنها ولا شك نافضة يدها من هذا الأمر ، وجالية بجنودها عن هذه الأرض ، وتاركة الناس أحراراً يدبرون شئونهم بأيديهم ! فكيف يفهم العقل من كل هذا أن بريطانيا تعترض على مسألة التقسيم لأنها تريد خيراً للعرب ، وتحافظ على وعودها لهم ، وتعمل على رد شر اليهود ومن يعاونهم عن هذه الأمة المسكينة ؟ ! كيف يا شياطين السياسة ؟ !

إن لها من وراء كل هذا التنكر للتقسيم أرباً آخر لا ندرى ما هو على التحقيق ، ولكنا إذا عرضناه على أفاعيل بريطانيا منذ كانت بريطانيا ، فلن نعدم الشك فى نيتها ، ولا الاهتداء إلى موضع الدخل فى تصرفها ، ولا آيات الكذب فى دعواها . وقبل هذا وذاك ، لا يستطيع قلب عربى أن يطمئن إلى أن بريطانيا وأمريكا ، وهما الدولتان المتعاونتان على الخير والشر ، تختلفان فى هذه المسألة بعينها ، إلا أن يكون اختلافهما تعمية وتدليساً لشىء هو أجدى عليهما وعلى الصهيونيين اليهود من اتفاقهما ! وليكن الأرب المكنون بعد ذلك ما يكون !

ونحن العرب لا نحب أن نلقى إثم هـذه الصهيونية الجائرة على أمريكا وروسيا للذى نراه اليوم من موقفهما وتشددهما وحرصهما على تقسيم فلسطين ، لا لأنهما أمتان بريئتان ، بل لأن الدوافع التى تحملهما على هذا الحرص وهذا التشدد ، إنما جاءت بعد أن فعلت بريطانيا فعلتها ، وأصلت لهذه الخبائث أصلا قوياً فى الأرض المطهرة ، ونزعت من يد العرب كل حول وطول فى تصريف شأن بلادهم ، وبعد أن تكرمت بريطانيا على العالم كله بإحداث مشكلة لا حل لها إلا الحل الذى تفصم به كل عقدة خبيثة تستعصى على المحاول .

إننا لا نريد أن نخدع مرة أخرى بنفاق بريطانيا وأكاذيبها وتصنعها لأعين الناس بالبراءة وحب الخير والحرص على الوفاء بالعهود وإنجاز المواعيد ، وبريطانيا تريد أن تذهب فى أمر فلسطين مذهباً جديداً لتكون شهيداً جديداً يستنزل العطف والمحبة من قلوب العرب ، وتريد أن تقف هذا الموقف لأنها تريد أن تخدع مصر والسودان ، وتخدع سورية ولبنان ، وتخدع العراق والباكستان ، وتخدع كل ناطق باللسان العربى فى مشارق الأرض ومغاربها . ولكننا لن ننخدع مرة أخرى أيها الشهيد

الذى استحل دم الأحرار فى مشارق الأرض ومغاربها .

هذه بريطانيا ، وأما أمريكا ، فقد طالما ذهبت فى الدفاع عن الحرية مذهباً كريماً ، ولكن ذلك شىء كان ثم انقضى ، فأمريكا اليوم دولة تصرفها الأحقاد الكثيرة ، وعلى رأس هذه الأحقاد إصرارها على التعصب البغيض إصراراً لا هوادة فيه ، حتى فى قلب بلادها . ثم يلى ذلك تحكم اليهود وتسلطهم على رؤوس أموالها ، وعلى شركاتها ، وعلى مجتمعها ، وعلى رجال سياستها . فالشعب الأمريكي اليوم ألعوبة تلهو بها الصهيونية اليهودية وترفعها وتخفضها كما تشاء ، ولسنا نحن الذين نقول هذا ، بل هذا ما تقوله فئات من الأحرار الأمريكيين أنفسهم ، ولكن هؤلاء الأحرار لا حول لهم ولا طول ، لأن كل شىء هناك فى قبضة اليهود ، ولأن رئيس الولايات المتحدة ، أيًّا كان هذا الرئيس ، لا يكاد يصل إلى كرسى الرئاسة إذا خذلته اليهود وأعرضت عنه فى الانتخابات ، فهو بالاضطرار يدور حيثما داروا به حتى يصير رئيساً للولايات المتحدة ، فإذا صار رئيساً ، فهو فى قبضة اليهود أيضاً طمعاً وخوفاً واضطراراً . وتظن أمريكا ، أو يظن ساستها ، أنهم إذا ناصروا إنشاء الوطن اليهودى ، أو الدولة اليهودية ، فهم بذلك سوف يخلصون من قبضة هذا الوحش اليهودى ، وأنهم يومئذ قادرون على أن يطردوه من بلادهم ويقولوا له : هذه بلادك فاذهب إليها . وهذا تسويل من شياطين اليهود ، وباطل من أباطيلهم يدندنون به فى آذان هؤلاء الساسة ، فاليهود يريدون أن ينشئوا الدولة اليهودية ، لا ليسكنوها ويتركوا البلاد التى أكرمتهم وأضافتهم وخلطتهم بأنفسها .، كلا بل يريدون بهذه الدولة أن يسيطروا على قلب العالم ، وهو الشرق الأوسط ، وأن يحتفظوا بسيطرتهم فى سائر بلاد الله كما هى ، ليكون لهم السلطان فى الأرض ، والغلبة على الأمم جميعاً مسلمها ونصرانيها ، فكلاهما عدو لها ، وهى تحمل لهما جميعاً عداوة لا تفتر ولا تموت . والذين يستنكرون أن يكون هذا هدف اليهود ، لم يقرأوا شيئاً من كلام الصهيونيين ، ولم يعرفوا أن هؤلاء اليهود يطمعون طمعاً لا يشكون فيه ، وهو أن الخلافة فى الأرض ستكون لهم ، وأن هذا الشعب المختار ، هو الذى اختاره الله لسيادة الدنيا واستعباد البشر غير اليهود ! فأمريكا مخدوعة هى وساستها ، إذا ظنت أنها بمناصرتها لهؤلاء السفاحين اليهود ، سوف تكسب شيئاً إلا ذل الحيرة والاضطراب .

وأما روسيا الغامضة ، فسلطان اليهود فيها ليس أقل منه فى أمريكا ، وهم الذين يسولون للروس أنه إذا أنشئت فى فلسطين دولة يهودية ، وإذا ناصرها الروس حتى تكون ، فمعنى ذلك أن روسيا سوف تجد منفذاً لها إلى قلب العالم ، أى إلى الشرق الأوسط ، وأن اليهود لن يخذلوا المذهب الشيوعى ، بل سيفسحون لدعاته المكان ، ويجعلون فلسطين مأوى لهم وملاذاً وكهفاً ، وأن تعاون الروس واليهود سوف يخلص روسيا من سلطان بريطانيا وأمريكا فى هذه الرقعة من الأرض ، وأن اليهود فى حاجة إلى معونة إحدى الدول الكبرى ، فإلا تمنهم روسيا وهى أقرب إليهم من أمريكا وبريطانيا ، فباضطرار ما يبسطون أيديهم إلى أمريكا وبريطانيا ويساعدونهما على الخير والشر فى التسلط على هذا الشرق الأوسط . وروسيا دولة تصرفها فكرة غالبة كفكرة اليهود هى الاستيلاء على أغنى بقاع الأرض ، لتستطيع أن تنشر مذهبها ، وأن تتوسل بهذا المذهب إلى هدم الكيان الاجتماعى فى الأمم ، فإذا تم لها ذلك استطاعت أن تحكم هذه الأمم وتصرفها على ما يشاء لها هواها . فهى يومئذ صاحبة السلطان الأعلى ، وهى القوة المدمرة ، وهى الظافرة فى الميدان الاجتماعى والسياسى ، وهى يومئذ قد أمنت أن تخشى لبريطانيا العظمى والولايات المتحدة بأساً أو قوة .

هذا تفسير هذه المشكلة المعقدة التى تريدنا بريطانيا ، وتريدنا أمريكا ، وتريدنا روسيا ، على أن نكون فيها كالشاة المذبوحة لا تألم السلخ . فتبًّا لهم جميعاً ، والله المستعان .

بقى شىء آخر لا يخطئه أحد إذا فكر فيه ، وهو أن هذه الدول جميعاً تعلم علم اليقين أنها ترتكب جريمة من أبشع الجرائم فى تاريخ الإنسانية ، جريمة لم ترتكب مثلها أمة من الأمم المتوحشة فضلا عن الأمم الجاهلة ، فضلا عن الأمم المثقفة التى تدعى أنها حارسة الحضارة الإنسانية والقائمة عليها — تلك هى إقحام شعب على شعب آخر ، ليجليه عن بلاده ، وليستذله ، وليستعبدهم . إن هذه الدول جميعاً تعلم أن هؤلاء اليهود هم أبشع خلق الله استبداداً إذا حكموا ، وهى تعلم أنهم خلق قد خلت نفوسهم من كل معانى الشرف والنبل والمروءة ، وأنهم خلق تملأ قلبه العداوة والبغضاء

والحقد على البشر جميعاً ، وأنهم خلق لا يتورع عن شيء قط يرده عن اقتراف أحط الآثام في سبيل ما يريد — إنها تعلم هذا وأكبر منه وأشنع ، ومع ذلك فهي تريد أن تطلق هذه الوحوش الضارية من غابات الجهل والعصبية والحقد ، لتعيث في هذا الشرق الأوسط كله بفجورها وبغيها وضراوتها ، فتهدم ما تهدم ، وترتكب ما ترتكب ، باسم الحضارة والمدنية والثقافة ... فيالها من جريمة ! يالها من جريمة أيتها الأمم الحارسة لتراث الحضارة الإنسانية ! !

ثم بقي شيء وراء ذلك كله ، ينبغي لكل عربي أن يعلمه ، ولا سيما أولئك الذين يتعرضون اليوم لسياسة هذا الشرق العربي ، وهذا الشرق الإسلامي كله — هو أن إقدام هذه الدول الثلاث على مناصرة المجرمين الصهيونيين تنطوي على معنى قد استقر في أنفسهم وغلب عليها ، وهو احتقارهم للعرب وازدراؤهم لهم ولمدنيتهم ودينهم وحضارتهم واجتماعهم ودولهم وملوكهم ، وقديمهم وحديثهم ، وأن هذا لبان ارتضعوه منذ كانت الحروب الصليبية ، وأن الثقافة والعلم وسهولة اتصال الأمم بعضها ببعض ، كل ذلك لم يغير شيئاً من عقائد الصليبية الأولى في هذا الشرق العربي ، وكل ذلك لم ينفع شيئاً في نزع السم الذي اختلط بالدماء وجرى في العروق مع نسمات الهواء ومضغات الغذاء . وأنه لولا هذا الداء القديم ، وهذه العلة المستعصية ، لما ارتضت هذه الدول أن تبدى كل هذه الجرأة على الحق في مشكلة فلسطين ، بل لوقفت كما وقفت من قبل في مسألة دانزيج وغيرها مناصرة لحق الناس في الحرية كما تزعم . هذا معنى لا يفوت عربياً مسلماً كان أو نصرانياً ، لأن هذه الدول تتصرف بأحقاد جاهلة عمياء ، لا ببصر وتمييز وعدل .

وغاب عن هذه الدول جميعاً شيء واحد ، هو أن هذه الأمم التي يصبون عليها أحقادهم المرذولة وسخائمهم المتيقة ، قد لقيت من قبل أشد مما تلقى اليوم ، ومع ذلك فقد استطاعت أن تخرج على الدنيا ظافرة نبيلة لا تحمل حقداً ولا ضغناً ، وانتشلت الحضارة الإنسانية من أوحال الجهل العميق الذي كانت تعيش فيه أوربة وأمريكا وروسيا ، ورفعت النار لكل مهتد حتى اهتدى .

إن هذه العرب لا تنام على ذل أبداً ، فلتعلم هذا روسيا ، ولتعلمه بريطانيا ، ولتعلمه أمريكا ، وليعلمه الأفاقون من اليهود .

لقد نادت فلسطين غير نيام ، نادت أيقاظاً يحملون بين ضلوعهم تلك الشعلة الخالدة في تاريخ الإنسانية ، والتي نحن القوّام عليها والقائمون بها ، والتي نحن لحاملوها حيثما سرنا في الأرض — شعلة الإيمان بالله الواحد القهار — إن كل سلاح ، سلاح مفلول إذا لقى سلاحنا ، لأننا لا نقاتل بالتدمير والخراب ، بل بالتعمير والإنشاء ورد الحقوق على أهلها وإن كانوا قد ظلمونا ونكلوا بنا من قبل . ولتعلم هذه الأمم العدو لنا جميعاً أن المعجزة التي كانت يوماً ما ، سوف تكون مرة أخرى يوم تنبعث من ظلماء هذه الحوادث سراعاً إلى نجدة أمنا فلسطين ، فتنبثق الأرض عن جنود الله القدماء :

عن كل أروع ترتاع المنون له ... إذا تجرد ، لا نكس ولا جحد
يكاد حين يلاقي القرن من حنق ... قبل السنان على حوبائه يرد
قلوا ، ولكنهم طابوا ، وأنجدهم ... جيش من الصبر لا يفنى له عدد
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا ... من اليقين دروعاً مالها زرد

هذه ليست خطابة ولا حماسة أيتها الأمم ، بل هي الحق ، وهي عادتنا وعادة الله فينا ، والله غالب على أمركم وأمرنا ، ونحن جند الله في الأرض على رغمكم ، وإن سخرتم أو كذبتم !

محمود محمد شاكر

تعقيب

للأستاذ علي الطنطاوي

كتب كاتب في مجلة أسبوعية أن (السيدة نفيسة) التي ينسب إليها القبر المعروف في مصر ليست إلا الست نفيسة زوجة مراد بك آخر المماليك، وجاء في مقالته استطراد إلى ذكر الثورات المصرية قرر فيه أنها قامت كلها باسم الدين، وأثار ذلك طائفة من القراء فكتبوا إليه محتجين مصححين، وهاج كاتباً من الكتاب فرد عليه، مبيناً أن القبر للسيدة نفيسة النسيبة الشريفة الثابت نسبها إلى سيدنا علي، منكراً أن تكون ثورة مصر قامت باسم الدين ... الخ

ولست معقباً على هذا من جهة التاريخ، لأن من الواجب أن لا نخلط بين امرأتين بينهما ألف سنة ... وأن نحقق القول في المساجد والقبور وسائر الآثار، وأن نمحص أسباب الثورات ونعرف حقيقة الدوافع إليها، ولكني معقب عليه من جهة الدين.

والدين — كما أفهمه — لا يبالي أكانت صاحبة هذا القبر السيدة نفيسة العلوية، أم الست نفيسة المرادية، ولا ينفعها عند الله أن تكون الأولى إن كانت سيئة العمل، ولا يضرها أن تكون الثانية إن كانت صالحة السيرة، لأن ميزان الله غير موازين البشر، والله لا ينظر إلى الصور ولا إلى الأنساب، وإنما ينظر إلى القلوب وإلى الأعمال، فبالأعمال بعد الإيمان، تتفاوت أقدار الناس في الآخرة، ولو كان للنسب ثقل في ميزان الله ما رجح سلمان (الفارسي) وصهيب (الرومي) وبلال (الحبشي) وخف أبو لهب بن عبد المطلب العربي القرشي الهاشمي عم النبي!

والناس لا ينفعهم في أخراهم أن يكون هذا القبر، لهذه أو لتلك، أو لأي إنسان ممن خلق الله، أو يكون قبراً خالياً ليس فيه أحد، لأن الإسلام يأبى عبادة الأموات، وينكر تعظيمهم، ويسد الذرائع إليها، لذلك منع رفع القبور وزخرفتها والمغالاة فيها، فضلا عن اعتقاد النفع والضرر بها وبأصحابها.

ودين الإسلام أساسه التوحيد، ومنه أن تعتقد أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله، لا أعني ما يدخل في الأسباب المعروفة والعلل الظاهرة، إذ لا ينكر نفعها ولا ضررها، فالطعام نافع والسم ضار، والطبيب نافع والجاهل ضار ... والناس كلهم والأشياء جميعها منها ما يضر ومنها ما ينفع، في حدود سنن الله في هذا الكون، وطبيعته التي طبع الوجودَ عليها، ولكن أعني ما وراء هذه الأسباب والعلل، إذ ربَّ مريض يستشير أكابر الأطباء، ويجلب أندر العقاقير، ويحظى بكامل العناية، ثم يموت، وآخر أصابه مثل مرضه فبرئ بأيسر العلاج، وأقل الجهد، فالطبيب دال، ولكن الله الموصل، والرسول هاد مرشد، ولكن الله هو الهادي الموفق لاتباع الرشاد، وفي الوجود شيء يدخل في طاقة الإنسان، وأشياء لا تدخل في طاقته، فإذا فعل كل ما يقدر عليه، ولم يبق عليه إلا الالتجاء، لقوة خفية قادرة على ما لا تقدر عليه قوته، فعليه بالالتجاء إلى الله وحده، واعتقاد أنه هو الذي يضر وينفع، فإن التجأ إلى غيره، إلى نبي أو ولي، حي أو ميت، يؤمن بأنه يستطيع أن يعينه هذه المعونة الغيبية، فهذا هو الشرك الذي جاء الإسلام لإبطاله!

أما ما يعتقده العامة من أن هؤلاء الصالحين مقربون إلى الله أكثر منا، فهم يتخذونهم وسائل، فلا بأس بذلك ما دامت بعيدة عن المعونة الغيبية، داخلة في نطاق الأسباب والعلل، كالتوسل بدعاء الصالحين. وقد توسل عمر يوم الاستسقاء بدعاء العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتوسل بالنبي نفسه، مع أنه أفضل من العباس ومن سائر البشر.

ومهما قيل في مسألة التوسل التي طال فيها الخلاف وكثر الجدال، ولم يبق فيها جديد يقال، فليس في القائلين بالتوسل، ولا في المانعين له، ولا في المتوقفين فيه، من يقر ما يرى في مصر عند قبر سيدنا الحسين[1]، أو قبر السيدة زينب، والسيدة نفيسة، والإمام الشافعي، وعند كل قبر قائم في مصر، عليه قبة، وله مزار.

إن الذي يصنع عند هذه القبور يجاوز الحد الذي جوّزه القائلون بالتوسل من العلماء، ويطغى حتى ليوشك أن يجاوز.. (لقد كدت أقول:) الإسلام!

وإن من أوجب الواجبات على العلماء منعه وإزالته، حتى لا يظن بعض الشباب أن هذا هو الدين، فيؤثروا الإلحاد على هذا (الدين ...) الخرافي! وهذا الذي صار!!

أما الكلام في الثورة والدين، وفرح الكاتب الثاني بضبطه رفيقه متلبساً بجريرة القول فيه، وفزع الكاتب الأول من نسبة

(١) وسيدنا الحسين رأسه عندنا في الشام بلا كلام وجسده في كربلاء

هذا القول إليه ، فهو دليل واحد من آلاف الدلائل على ما انتهت إليه صورة الدين فى نفوس بعض المتعلمين . فقد استقر فيها أن الدين شىء عتيق لا يليق بالمتعلم أن يتمسك به ، أو يتكلم باسمه إلا إذا لاق به أن يدع السيارة والطيارة ويركب الحمارة ، وأن يترك عمارة إيموبليا ويسكن فى منزل خرب ، وأن يعدل عن مطعم سن جمس إلى وليمة فى قرية يأكلون فيها الرز بالأصابع ...

وأن الدين لا يجوز إدخاله فى العلم ولا فى السياسة ولا فى الحياة اليومية .

وسبب ذلك كله جريمة أجرمها العثمانيون ، هى أنه لما كان عهد البعث (الرونسانس) فى أوربة ، وهبت أوربة لتسابقنا بعد أن كنا نحن السابقين ، لم تجارها الدولة العثمانية فى هذا الطريق الجديد ، ولم تقبس من هذه النار ، ولم تستضىء بهذا الضوء ، ولو هى فعلت (على ما كنا عليه من بقايا الحضارة الأولى) لبقينا نحن السابقين ، فكان من نتيجة هذا الإهمال ، أن وقفنا والدنيا تمشى ، ثم صرنا وراء الدنيا ؛ لا لأنا تأخرنا بل لأن الدنيا تقدمت ، وغدا المسلمون دون الغربيين فى الأخلاق وفى الصناعة وفى الثقافة وفى القوة ، وبقى فقهاؤنا يقرأون الفقه الذى وضعت أحكامه لعصر ما قبل البعث (الرونسانس) مع أن مصادر الفقه تصلح لكل زمان ومكان ونحن ملزمون بالمصادر لا باجتهادات الفقهاء ، والشباب يتعلمون ما عند أوربة وأميركة من العلم ومن المذاهب السياسية والاجتماعية ، ثم يلتفتون إلى العلماء يسألونهم عن حكم الشرع فيها ، فلا يلقى العلماء أمامهم إلا هذه الكتب التى ألفت لغير هذا الزمان يعودون إليها فلا يرون فيها شيئاً من ذلك ولا يعرفون اقتباس الأحكام من مصادرها ، وأصولها ، فينصرف الشباب وقد أيقنوا أن الدين قاصر ، وأنه لا يصلح لهذا الزمان .

ثم ينظرون حولهم فيرون هذه الخرافات والأوهام ، وهذه البدع والضلالات المنسوبة كلها إلى الدين ، من غير أن يجهر أحد بإنكارها وإعلان براءة الدين منها ، فيزداد ظنهم بالدين سوءاً ، ويعودون إلى الغرب فيتلقون عنه كل شىء ، حتى القواعد التى وضعت للديانة المسيحية ومنها (فصل الدين عن السياسة) و (فصل الدين عن العلم) ، مع أن من أول ما ينبغى الاتفاق عليه فى الجدل معانى الألفاظ ، فما معنى الدين عند من وضعوا هذه القواعد ؟

إن معناه (الأحكام التى تحدد صلة الإنسان بربه) والدين بهذا المعنى لا دخل له فى السياسة ولا فى العلم ، وهو شىء شخصى بين العبد وربه ، ومن هنا سارت الكلمة المشهورة : الدين لله والوطن للجميع .

نحن لا ننازع فى هذا ، ولكن موطن النزاع ومكان الخلاف هو : هل الإسلام دين فقط ، موضوعه الصلة بين الإنسان وربه ، أو أن فيه ما يحدد صلات الناس بعضهم ببعض ، حقوقياً وأخلاقياً؟ وصلات الدول بعضها ببعض خاصة وعامة ؟

أليس فى الإسلام أخلاق ، وحقوق ، خاصة وعامة ودولية ؟ وهل يجب الفصل بين هذه القواعد الحقوقية التى تبدو عند المقابلة والمقارنة أعدل وأحكم من القواعد الحقوقية الموضوعة ، هل يجب الفصل بينها وبين السياسة ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

هذه هى المسألة .

فمن يثبت لنا من الدين نفسه ، أنه قاصر على المسجد والعبادة وأن سورة الأنفال وسورة براءة مثلا ليستا من القرآن ، وأن آلاف الأحاديث التى اعتمد عليها الفقهاء فى المعاملات ليست من الدين؟ وإذا كان ذلك كله من الدين ، فمن يثبت لنا كيف تكون الأمة مسلمة وهى تتمسك ببعض الدين وتترك بعضه ؟

هذا وأنا لا أدعو إلى أن نأخذ الأحكام المدونة فى كتب الفقه كما هى فنجعلها قانوناً ملزماً لا تبديل له ولا تغيير ، ولو كانت أحكاماً اجتهادية مبنية فى الأصل على عرف أو مصلحة مرسلة أو استحسان . لا ، ولا أدعو إلى تحقيق ذلك بثورة مدمرة ، ومظاهرة صاخبة نكتفى بأن نصيح فيها : القرآن دستورنا ، الإسلام دين ودولة ، لا ، بل بأن ينقطع نفر من أهل العلم إلى كتب الدين وإلى قوانين الدول ، وإلى تعرف حاجات العصر ، ونظريات علمائه ، ثم يعدوا مشروعات هذه القوانين . وهذا العمل وإن كان صامتاً خفياً ، لا يعرف صاحبه ولا يطبل حول اسمه بالطبول ، فهو العمل النافع ، وهو كالأساس للبناء المعظم ، يختفى الأساس فى الأرض فلا يظهر ولكن لولاه ما قام البناء .

وملاك الأمر تعريف الشباب بالإسلام ، و (ترجمة) كتبه إلى لسانهم ، لأن الإسلام فى ذاته قوة هائلة ، سره فيه ، وفيه دلائله ، فمن عرفه على حقيقته لم يستطع إلا أن يكون مسلماً ، فإذا كان العلماء حريصين حقاً على ازدهاره ، وعودة أهله إليه ، ورجوع الأمة الإسلامية إلى مجدها ، فهذا هو الطريق .

(القاهرة) **على الطنطاوى**

مع ميخائيل نعيمه
فى «همس الجفون»

للأستاذ مناور عويس

« أيها اللابسون عرى اليتامى كيف تدفأون ؟ .
أيها الكارعون رى العطاش كيف تنعمون ؟
أيها الآكلون خبز الجياع كيف تشبعون ؟ .
أيها الراضعون ثدى الثكالى كيف تسمنون ؟ ؛ .
أيها السائقون ظعن المنايا كيف تهزجون ؟ . .
أيها المستحمون بالدم الحى كيف تطهرون ؟ . .
أيها المدلجون ، إذ يقبل الفجر ، أين تدبرون ؟ . .
أيها البائعون سم الأفاعى هل سوى السم تربحون ؟!»

رأيتنى إذا عددت الشعراء الذين أفزع إليهم كلما حزبنى أمر وضقت بالحياة والأحياء أعد نعيمه فى طليعة أولئك الشعراء فما أكثر ما اردد قوله :

إذا سماؤك يوماً تحجبت بالغيوم
أغمض جفونك تبصر خلف الغيوم نجوم
والأرض حولك إمّا توشحت بالثلوج
أغمض جفونك تبصر تحت الثلوج مروج!

وإن بليت بداء وقيل داء عياء
أغمض جفونك تبصر فى الداء كل الدواء !

وعندما الموت يدنو واللحد يفغر فاه
أغمض جفونك تبصر فى اللحد مهد الحياة !

فما رددت هذه الأبيات إلا شعرت بأن المرارة التى كنت أغص بها قد خف وقعها وانقشعت عن سماء نفسى تلك السحب الدكناء وصغرت فى عينى همومى وآلامى؛ فنعيمه من هذه الناحية طبيب أرواح وقلوب قبل أن يكون شاعراً !

فهو يدخل القلوب بعقاقيره الروحية دون استئذان ،وببساطة فائقة يحتك تلك القلوب التى أثقلتها هموم العيش وآدها ثقل السنين ويصبح فيها السيد المطاع ، فلا يلبث أن يغسلها بزيته القدس وينقيها مما علق بها من أوضار ورسب فى قاعها من أقذار حتى تراها تعيش فى عالم نعيمه الروحانى الذى يشيع فيه الحب والخير والجمال ، فنعيمه يقوم بمهمات ثلاث : مهمة الكاهن ، ومهمة الفيلسوف ، ومهمة الشاعر ! ..

ليقل الناس ما شاءوا فلست أؤمن إلا بوجدانى ولست أفهم الحياة والفن إلا به وعلى ضوئه ، وقد هدانى وجدانى إلى حقيقة لا أتزحزح عنها قيد شعرة وهى أن نعيمه فيه نبوة ، ولكنها من نوع جديد ، وآثاره الأدبية هى (امتداد) لأنبياء العهد القديم ، أما الذين لا يرون إلا ما سطر على القرطاس فلم يكتب لهم هذا الكلام . وما دامت الفنون تقاس بمقدار ما تتصل بالنفوس ، والأدب أحد تلك الفنون — ولعله أسماها جميعاً — فنعيمه من أشد الشعراء اتصالا بالنفوس وأعلقهم بالأرواح ... إنه من أولئك الشعراء والكتاب الذين يرتفعون بالإنسان إلى آفاق الروح الكلى ويمتزجون به امتزاج الليل بالنهار والروح بالجسد ، فما قرأته مرة إلا أحسست بأننى أقرب ما أكون إلى الله وأبعد ما أكون عن (التراب) !

وهذا لعمرى هو الفرق بين أدب السماء وأدب الغرائز والأحقاد . إن من يمعن النظر فى شعر نعيمه ونثره يجد أنه يهدف إلى غاية هى غاية الغايات ، أى نشر المحبة والخير والسلام بين الناس ، تلك المحجة التى طالما سعى إليها الأنبياء والشعراء والفلاسفة منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا ، وسوف يظلون يسعون إليها ما دام الإنسان إنساناً ، وما دامت الأرض أرضاً ، وفى سعيهم المتواصل هذا سعادتهم وسعادة البشرية ، فالسعى إلى الكمال تطور وتجديد أما الكمال فوقوف وجمود كما يقول عبقرى ألمانيا الأعظم «جيتى»

ليست شاعرية نعيمه من تلك الشاعريات التى تعتمد على بلاغة الألفاظ ورنين القوافى وإنما هى شاعرية مجنحة تحلق بين الأرض والسماء ، قوامها الروح ولحمتها وسداها الأفكار السامية والتأملات العميقة . فى شعر نعيمه صوفية حالمة وحيرة وتساؤل وشك وإيمان ، فيه ثورة وتمرد واستسلام ، فيه امتزاج بالكون، فيه صلوات وابتهالات تحمل فى تضاعيفها النور والطمأنينة ، فى شعر نعيمه هينمة النسيم وأنداء الربيع ! ...

***

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى حمل نعيمه البندقية فى

جيش الولايات المتحدة فرأى بعينيه أشلاء إخوانه كيف تمزقها القنابل، كما سمع بأذنيه أنين الجرحى وصراخهم الذي يصم الآذان من ظلم الإنسان ووحشيته فانطبع في نفسه كره شديد للقوة الغاشمة والأقوياء الظالمين ، وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء على أعدائهم ، ولكن المجاعة في سوريا ولبنان كانت تفتك بالألوف من أبناء وطنه فزفر نعيمه هذه الزفرة الحارة وأرسلها صرخة مدوية خالدة :

أخي ، إن ضج بعد الحرب غربي بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ، ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلي
بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا !
أخي ، من نحن ؟ لا وطن ولا أهل ولا جار
إذا نمنا ، إذا قمنا ، ردانا الخزي والعار
لقد خمت بنا الدنيا ، كما خمت بموتانا ! . . .
فهات الرفش واتبعني
لنحفر خندقاً آخر
نواري فيه أحيانا !! الخ .

هذا هو نعيمه الثائر الذي يريد أن يؤجج النار في الجليد !
هذا هو نعيمه الإنسان الناقم الساخط على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان . .

ولنصغ الآن إلى نعيمه الفيلسوف يفتش عن نفسه في الموج الذي يثور والبحر الذي يبكي عند أقدام الصخور ، وفي الرعد الذي يدوي بين طيات الغمام والبرق الذي يفري سيفه جيش الظلام ، وفي الريح التي تذري الثلج عن رؤوس الجبال وفي الفجر الذي يمشي خلسة بين النجوم !

إن رأيت البحر يطغى الموج فيه ويثور ،
أو سمعت البحر يبكي عند أقدام الصخور
ترقبي الموج إلى أن يحبس الموج هديره
وتناجي البحر حتى يسمع البحر زفيره
راجعاً منك إليه
هل من الأمواج جئت ؟!

إن رأيت الفجر يمشي خلسة بين النجوم
ويوشي جبة الليل المولى بالرسوم
يسمع الفجر ابتهالا ، صاعداً منك إليه
وتخري كنبي هبط الوحي عليه
هل من الفجر انبعثت ؟!

حقاً إن نعيمه في قصيدته « من أنت يا نفسي » التي شوهت جمالها وفرقت وحدتها باختياري هذين القطعين منها لمن أبدع الشعراء تصوراً وأبرعهم تلويناً للفكرة الواحدة . فمن منا لم يحس بنفسه تحاول التفلت والانطلاق ، وتحن إلى الامتزاج بمظاهر الكون ؟ إلا إنني لا أعرف شاعراً كنعيمه استطاع أن يصور لنا تلك الارتماشات التي تهيمن على النفس الإنسانية أمام هدير الأمواج وقصف الرعود ولمع البروق وأنين الرياح وانبثاق الصبح وغناء البلبل .

لقد بلغ نعيمه في هذه القصيدة درجة الإعجاز الفني لأنه شاعر فيض وإلهام لا شاعر قريحة ونحت ألفاظ . انظر كيف يلخص قصيدته بهذا المقطع الرائع :

إيه نفسي ! أنت لحن فيّ قد رنّ صداه
وقعتك يد فنان خفي لا أراه
أنت ريح ونسيم ، أنت موج أنت بحر
أنت برق ، أنت رعد ، أنت ليل ، أنت فجر
أنت فيض من إله !

وهنا لابد لي من تسجيل هذه الخاطرة في شعر نعيمه ، وهي أن شعر نعيمه من ذلك النوع الذي لا يرهق العقل ولا يكده — على ما فيه من عميق الفكر وسامي الخيال — بل يفيض على القلب طمأنينة ويشيع في النفس راحة ويقوى من أجنحة الخيال ويبسط على الروح جواً سحرياً فيه متعة وفيه إخلاد إلى التأملات والاشراقات الروحية التي تقرب الإنسان من خالقه وتبعده عن دنيا الأطماع والسفاسف والشهوات » ولعمري تلك مزية شعر الأمم والأجيال ! . .

***

قال نعيمه : « إذا سئلتم عن أبدع آيات الفن وأغلاها قولوا : ضمير لا يسخر وجبين لا يعفر ولسان حليم شكور ، وقلب عفيف

غفور ، وعين لا تبصر القذى ويد لا تنزل الأذى وفكر يرى فى البلية عطية وخيال يربط الأزلية بالأبدية » ولو طبق هذا الدستور الذى استنه نعيمه للفن الرائع لكان أدبه فى طليعة الآداب التى ينطبق عليها هذا الدستور .

ولننتقل الآن إلى نعيمه المتصوف مبتهلا إلى ربه ، فنى ابتهالاته دليل ناصع على انسانيته الشاملة وإيمانه الراسخ بوحدانية الحياة والوجود :

نحل اللهم عينى بشعاع من ضيائك — كى تراك
فى جميع الخلق ، فى دود القبور ،
فى نسور الجو فى موج البحار
فى قروح البرص فى وجه السليم
فى يد القاتل فى نجيع القتيل
فى سرير العرس فى نعش المظيم
فى يد المحسن فى كف البخيل
فى قذى العاهر فى طهر البتول . . . .
وإذا ما ساورتها سكتة النوم العميق
فاغمض اللهم جفنيها إلى أن تستفيق . . .
وافتح اللهم أذنى كى تعى دوما نداك - من علاك
فى ثغاء الشاة ، فى زأر الأسود ،
فى نعيق البوم فى نوح الحمام . . . .
فى خرير الماء فى قصف الرعود . . . .
فى هدير البحر فى همس الغمام . .
فى صراخ الليل فى همس الصباح
فى بكا الأطفال فى ضحك الكهول .
فى ابتهالات العراة الجائعين . . . .
فى انتخاب النائى فى دق الطبول . .
فى صلاة الملك والعبد السجين . .
وإذا ما قرب الموت وواقاها الصمم . .
فأختمن ربى عليها ريثما تحيا الرمم .
واجعل اللهم قلبى واحة — يستقى منها القريب — والغريب !
ماؤها الإيمان أما غرسها . . .

فالرجا والحب والصبر الطويل ! . . .

إلى آخر تلك الابتهالات التى نستشف من بين ثناياها فلسفة نعيمه الانسانية ، المؤمنة الموحدة ، ونطل من خلال مقاطعها على ذلك العالم الروحانى الذى يعبق منه أرج (بوذا) ونفحات (لاوتسو) …

***

وهلم بنا الآن إلى (أوراق الخريف) …

قل أن تجتمع الفلسفة والشعر صعيد واحد ، ذلك لأن نبعة الشعر الوجدان ، ونبعة الفلسفة العقل ، وإذا استطاع الشاعر أن يزاوج بين الشعر والفلسفة كما فعل أبو العلاء المعرى (وجيتى) وغيرهما مما عمقت ثقافتهم وتسامت أرواحهم واتسعت آفاق وحيهم ودقت ملاحظتهم لبواطن الحياة وظواهرها ، أقول إذا استطاع الشاعر أن يجمع بين الشعر والفلسفة فهو الشاعر الخالد الذى لا يجوز لأمة أن تدعيه لنفسها دون أمة أخرى لأنه شاعر كل مكان وزمان . ونعيمه — فى اعتقادى — أحد أولئك الشعراء وأن كره عشاق (موزاييك) الألفاظ وعباد الطنين والرنين والقوافى الجوفاء ! . .

فى القطعين الأولين من (أوراق الخريف) نرى نعيمه شاعرا يؤله ويشجيه أن يشاهد تلك الأوراق الصفرة التى لوت أعناقها رياح الخريف وذرتها فى الفضاء . .

إننى لأكاد ألمح دمعة التفجع فى عينيه وهو ينظر إلى تلك الوريقات تتساقط الواحدة تلو الأخرى ناظرات إلى رفيقاتهن اللواتى ما برحن خضراً على غصنهن بأعينهن الدامعة وقلوبهن الواجفة لهول الفراق الذى لا لقاء بعده ولرهبة المصير الذى لا رجعة منه !

هذان القطعان هما من رائع الشعر لأنهما غاية فى البساطة والصدق والإحساس فضلا عن الموسيقى المترقرقة بين السطور وفضلا عن المعانى الإنسانية والأحاسيس المختلفة التى توحيها الأبيات للقارىء أو السامع …

(يتبع) منور عويس

حول تمد الناصر :

فى فن الإخراج المسرحى

للأستاذ زكي طليمات

فى العدد ٧٥٠ من هذه المجلة الغراء تفضل الأستاذ (ط) بكلمة طيبة عن تمثيل الفرقة المصرية رواية (الناصر) للشاعر الكبير عزيز أباظة باشا ، وخصنى فيها بالتفاتة رعاية ، ثم تكرم مخلصاً بالفات نظرى إلى ناحية من نواحى الإخراج الذى أجريته فى المسرحية ، وهى ناحية جديرة بالكشف وفى التعقيب عليها تبيان لمنحى من مناحى الإخراج المسرحى فى مرحلته الحديثة .

يعجب الأستاذ كيف يحدث جرح ، فوق المسرح طبعاً ، من غير أراقة دماء ، فقد طعنت إحدى شخصيات الرواية أخرى بخنجر ، ومع هذا فانه لم ير أثر للدماء ولا تمزق فى الثياب .

وهذا عجب مشروع له ركاز من الحق إذا اعتبرنا فن التمثيل من حيث الأداء ومن حيث الإخراج ، نسخا للحياة ونقلا عن الواقع فى أدق تفاصيله ، أو بالأحرى إذا اعتبرنا المسرح لوحة فوتوغرافية من الواقع

هذا الاعتبار الذى يأخذ به نقاد المسرح المصرى له أصل فى تاريخ تطور الفكرة عن فنون المسرح ، وأقصد بالفكرة وجهة النظر التى يأخذ بها الجمهور أدباؤه وفنانوه ، تبعا للمزاج العام الذى تعمل على تكوينه الاتجاهات الصريحة فى الأدب والفنون ، وقد برزت فى أتم طابع وجهة النظر فى أن يكون فن التمثيل مماثلا كل المائلة للحياة الواقعية ، فى أواسط القرن الماضى ، وانتشرت فى أواخره وغيرت كل وجهات النظر الأخرى ، على يد المخرج الكبير (أندرية أنطوان) فى فرنسا (استانسلفسكى) فى روسيا ، وكانت هذه الحركة بمثابة رد فعل لما كانت علية فنون المسرح إذ ذاك من ابتعاد عن الواقع وإغراق فى الأخذ بالتزاويق .

ولم يك هذا أمرا مستغربا لأن (المذهب الواقعى) كان سائدا فى أوروبا ، وشمل الأدب فى جميع ألوانه ، والفن فى مختلف أنواعه .

ولم يك هذا المذهب الواقعى إلا صدى من أصداء المزاج العام والحركة الفكرية الواعية وغير الواعية . بفعل التقدم الآلى فى الصناعات والمخترعات وبتأثير الحركة العلمية التى انتهت إلى اكتشاف جراثيم الجدرى والدفتريا والسل وغيرها من الأدواء ، وهى حركة قوامها (المجهر) و (معمل الإبحاث والتحليل) فكان أن خلد فى أذهان الناس بتأثير هذا ، أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى جوهر الأشياء إذا أخضعها للتحليل والتجزئة ، وأن آله (الفوتوغرافيا) فى إمكانها أن تنقل الحياة الواقعية نقلا دقيقا يطابق الأصل فالفن والحالة هذه ، لا يكون فى أوج كماله إلا إذا نسخ الواقع وماثله .

ويروى تاريخ الإخراج المسرحى ، فى صدد هذه النزعة الواقعية أعجب الحوادث ، فقد أخرج (أنطوان) زعيم هذه الحركة فى المسرح منظراً فى إحدى الروايات ، يمثل مجزراً للماشية ، فكان أن شاهد الجمهور عدداً من الماشية المذبوحة وقد سلخت جلودها ، وشدت إلى المشاجب الحديدية ، والدم يقطر منها فوق أرض المسرح ، فصفق الجمهور إعجابا .

وأخرج زميله الروسى منظراً يمثل مقدم باخرة تشق عباب البحر فى يوم عاصف ، فإذا برشاش الماء يتناثر على الصفوف المتقدمة من أمكنة النظارة . وهكذا اصبحت قدرة المخرجين على محاكاة الواقع مقياساً لانفوق والشهرة .

ولم يكن المخرجون فى هذا منحرفين عن الجادة ، لأنهم كانوا يصدرون عما يتفق ونظرتهم ونظرة الجمهور إلى الفن المسرحى من حيث أنه صورة شمسية من الواقع الملموس . وقد تناسوا أن المناظر التى يطالعونها فوق المسرح لا تأخذ من حقائق الأشياء غير مظاهرها ، بدليل أن ما يرونه ممثلا للجدران الصلبة ، والأعمدة ، وحوائط الباخرة ليس إلا أستار ملونة مشدودة إلى إطارات من الخشب ، ويكفى للدلالة على زيف معدنها أن تقع يد إحد الممثلين عليها فإذ هى تهتز وترتمش .

هذه النظرة إلى فنون المسرح أو بالأحرى هذه (النزعة الواقعية) ، مابرحت تسود الأكثرية الغالبة من الجمهور . وقد جاءت الينا مع مجىء فن التمثيل باللسان العربى ، وفى طيات الموجة الثقافية الغربية التى تكسرت على شواطىء وادي النيل فيا بعد أواسط القرن الماضى . وقد تأصلت لهذه النزعة فى مجتمعنا جذور أمتدت على مر الزمن ، فإذا الفن بين أيدينا لا يتعدى أن

يكون صوراً شمسية من الواقع فى أدق تفاصيله .

ولكن الزمن قد تطور فى أوروبا التى أخذنا فنون المسرح عنها ، فتغيرت قيم وأوضاع فى الأدب والفن ، فبليت (واقعية) الفن بعد أن اتضح قصورها عن أشباع الواعية الأوروبية التى أزدادت نضجاً على وقع التقدم العلمى فى نواحى الفلسفة وعلم النفس ، الذى أثبت أن المرئيات إنما هى مظاهر ودلائل تشير إلى جوهر الأشياء ولا تفصل ، وتوحى ولا تفصح ، وتجمل ولا تحلل وأن الأخذ بالتركيب Synthése أصوب من الأخذ بالتحليل العاجز المتطاول . وقامت نزعة جديدة فى الأدب والفنون تأخذ بالإيحاء الشامل بدلا من نسخ الواقع وتفاصيله ، وبالتركيز بدلا من التحليل المفصح الذى يعنى بالتفاصيل ولا ينتهى إلى الجوهر . وقامت فى المسرح ، وذلك فى أوائل القرن الحاضر ، حركة تناهض (الواقعية) فى فنون التمثيل وترتكز على ما تقدمت الإشارة إليه ، سرعان ما قضت عليها إذ تركتها بين أيدى المتأخرين من متابعة قافلة التطور فى الأدب والفن . فإذا الناظر المسرحية للإجمال والإشارة فى التصوير ، وإذا الإضاءة للتركيز على المواطن المهمة فى الحركة المسرحية وليس لمجرد الإنارة ، وإذا كل ما يبدو فوق المسرح للإيحاء ، وإذا بالمسرح يصبح (تمويها للواقع) وليس (نقلا واقعيا) عنه ، وامتد تأثير الاتجاهات الفنية الحديثة إلى المرئى فوق المسرح فإذا بنا نطالع فوقه مذاهب (الإيحائية) و(التأثرية) و(التعبيرية) فى التصوير والرسم .

وقد زاد فى الأخذ بهذا ما فرضته السرعة فى الانتقال من تأثير على النظرة إلى المرئيات ، هذا التأثير الذى نسخ بدوره فعله على العقل الواعى وغير الواعى ، فغدا مقياس العمل فى كل نواحى الحياة ، (أتيان أكبر الأثر بأبسط الوسائل وفى أسرع وقت) . وكان من أكبر الأسباب التى دفعت بالمسرح إلى أن يأخذ اتجاهاً يجافى الواقعية ، فى تسجيل المرئيات ، هو قصوره عن مجاراة (السينما) فى وسائل أحياء الواقع على الوجه الذى تراه العين المجردة .

من أجل هذا وعلى هدى ما تقدم ذكره فإننا نأخذ بهذا الاتجاه الجديد فى إخراج مسرحياتنا ، حتى نماشى روح العصر الذى نعيش فيه . الإيماءة تأخذ مكان الحركة الكاملة ، وجذع الشجرة ينبىء عن فروعها ويشير إلى أغصانها ، والعامود ذو الطراز المحدود ، أو الحنية أو العقد فى البناء ، يغنى عن إيراد بهو كامل الجدران قد دقت اليد فى إيراد تفاصيله وكذلك الحال فيما هو دون هذا ، فإن طعنة الخنجر أو ضربة السيف ، توحى بما يصاحبها .

وقد يصح أن فى اتباعى هذا المذهب أقدم غير ما يألفه السواد الأكبر من الجمهور ، ولكن من واجبى أن أبشر بالجديد الذى يقبله الجمهور الأوروبى ، وهو جمهور سبقنا فى مضمار فنون المسرح ، وعنه نأخذ فى فنية المسرح وحرفيته ، وهذا الجديد غير عسير استساغته ، لأنه يرتكز على الطبيعة بقدر ولا يجافيها كل الجفاة .

وأؤكد للأستاذ (ط) أن مداركة ما أخذه علينا من أن الدم لم يتفجر على اثر طعنة الخنجر ، من أيسر الأمور ، ويكفى أن نضع فى عب ممثلة دور الفتاة التى تطعن بالخنجر ، (تفاحة) مملوءة بسائل أحمر ، لا بالدم ، فسرعان ما تتفجر تحت ضغط اليد التى تهوى عليها ، فيغشى السائل الأحمر ثيابها ويسيل إلى الأرض ، بل وينطلق رشاشه إلى الجمهور الذى يأخذ مكانه فى الصفوف الأمامية .

ثم ماذا يكون قول الأستاذ (ط) إذا شاهد مرة فى إحدى المسرحيات منظراً يمثل معركة حربية بين صليل السيوف التى من الخشب ، وانفجار القنابل الزيفة التى تفرقع ولا تحدث أثراً ، بما ذا يحاسب المخرج إذا لم ير الدماء تسيل أنهاراً فوق المسرح ، والإشلاء تتطاير هناك وهناك ، ويضرب بعضها وجوه النظارة كما كان يجب أن يجرى فى الواقع ، وهل يصح أن يقول أن المخرج أهدر جانب الواقع ، وتورط فى الخطيء الفاضح .

أقول أن الخدع المسرحية التافهة التى تدخل فى نطاق ما ذكره الأستاذ الناقد أصبحت اليوم لا تؤثر فى الجمهور المثقف ، كما كانت تؤثر فى نفوس أجدادنا مخدوعين أو متناسين الحقيقة ، لأن النضج الذى نزل بالذهنية الحديثة من جراء التطور العلمى العام صار يميل إلى الأخذ بالإيحاء حتى ينسرح خيال المشاهد فيكمل التفاصيل ، على وجه قد يكون أروع من تفاصيل مفروضة عليه من سواء .

أقول أن فن المسرح فى مظاهره المادية الخاصة بالإخراج ليس الحياة بواقعيتها وفى دقائقها وتفاصيلها ، وإنما هو تمويه بهذا فى حدود المقول ، الذى يبعث الإيحاء ويساعد على الرمز وينشط مخيلة النظارة على الإنسراح لاستخراج التفصيل من المجمل ، والكل من الجزء .

زكى طليمات

١ — من وحي الآثار :

مع ملاحي الشلال الأول

للأستاذ مصطفى كامل ابراهيم

« أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .
(قرآن كريم)

حدثنا الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود فى العدد ٧٤٦ من الرسالة عن ذكرياته الشائقة فى بلاد النوبة فقال : « وللشلال شهرة بالملاحة ، فأكثر الملاحين الذين يشتغلون فى البواخر النيلية بوجه عام ، تجارية وحكومية ، وشراعية ، من هذه البلاد الصغيرة المسماة بالشلال !! » .

وتروى لنا مخلفات القدماء ها هنا ، أن رجالات الشلال قد أدوا لوادى النيل من الخدمات فى غابر الأيام ما يتوج المصريين بتاج الفخار وهى باقية ما بقى العلم وما بقى الاعتراف بالصنيع ، وأن لهؤلاء الرجال فى أعناقنا جميلا فلنؤده إحياء لذكراهم وإن قل هذا الأداء .

ولقد لعب النيل دوراً هائلا فى حياة المصريين منذ نشأة الحياة الأولى على ضفافه ومنذ بدأ القوم يُحملون الزرع والضرع على يد « أوزيريس » الطيب القلب ، الكريم المحتد ، فلا عجب إذاً أن ملاحى الشلال الأول الذين وقفوا حياتهم على خدمة النهر والعناية بأمره وحماية منابعه(١) ، أن يكتبوا بأحرف من نور ، سجلا تاريخياً حافلا بجلائل الأعمال .

وقصة « أوزوريس وست »(٢) ، هى القصة التى ملأت وجدان المصريين القدماء طوال أيام تاريخهم القديم ، واحتلت مكان الصدارة من حياتهم الدنيوية ، وأثرت فى نفوسهم بالخير والبركة ، ولعلها السبب الثانى بعد الطبيعة السهلة التى خلقت فى المصريين النفس السمحة ولين العريكة وطيب القلب ، مما أوحى إلى « هيرودوت » أن يصدر حكمه المشهور « المصريون قوم يخشون الله » .

وطال ترديد القصة بين أفواه الناس وأسماع الزمن ، حتى تجاوبت أصداؤها فيما وراء البحر وجاء بلوتارخ سنة ١٢٠ من ميلاد المسيح ، يستنبىء الناس الخبر ، ويستقرىء الآثار ، فسمعها من الكهنة ثم كتبها للناس . ودلت الآثار على أن الرجل لم يكن متجنياً كغيره من المؤرخين(٣) .

وقد مست القصة مواطن العبقرية من الأدباء والشعراء المحدثين فقضوا الليالى الطوال ينعمون معها بفيض من الاطمئنان الروحى ثم انطلقت قرائحهم بالنثر والشعر الرصين ذلك لأنها من أجود القصص بل لعلها أجودها جميعاً ، والذى يقرؤها من قلم « شيلير Sehiller » يشعر بأن الرجل كان هائماً بها هيامه بما يكتب ، فأخرجها آيات مبدعات من روائع الفن .

وأنا لا أستطيع أن أتهم المصريين القدماء بأنهم عبدوا الإنسان والحيوان والجماد لذاته ، فإن ما خلفوه من مجد أثيل وثقافة عالية لا تسمح لهم أن ينزلوا هذه المنازل السحيقة من الجهل ، بل الرأى عندى أنهم أدركوا صفات الله تعالى وبحثوا عنه فى ملكوته ، فلم يروه ... ورؤوا شيئاً من صفات الخالق فيما خلق ، فقدسوها على أن بها سراً من أسرار الله ... قدسوا «أزوريس» لكرمه ورحمته بالعباد ، والنيل لمثل ذلك «وخنوم» رب الشلال الأول لأنه يحمى منابع النيل ويصنع الخلق من طينته

وبالرغم من أن مصر لم تكن مهبط الأنبياء ، إلا أن المصريين القدماء قد أظهروا استعداداً طيباً لتقبل الأديان السماوية قد ينفردون به دون أمم الأرض ، ففى أيام موسى عليه السلام ، آمنت له امرأة فرعون وكل من شاهد برهان الله على يد رسوله ، ولما جاءت المسيحية اعتنقوها حتى لم يبق فى الديار كافر بها ، ثم لما أشرق نور الإسلام فى شمال الوادى ، سطع ضياؤه بين

(١) اعتقد القدماء أن النيل ينبع من الشلال الأول .

(٢) راجع دكتور أحمد بدوى : فى موكب الشمس ج ١ . ص ٦٩ — ٧٢ — سليم بك حسن : الأدب المصرى القديم ج ٢ — ص ١١٣ — ١١٠ و١٠٧ .

(٣) راجع The Papayri of Chester Beaty. «Hymne d'Osiris». Stele Pib. Nat. 20. Rooder Urkunden Zur Religion P. 22—26.

٢٩ ، ٤٤

جنباته وتتغلغل في نفوس أبنائه المؤمنين « الذين قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ، وامتد هديه حتى عم كل بقعة وطئتها أقدام الداعين للاسلام ، أولئك الذين شدّ الله في أزرهم وقوى نفوسهم فلم تصدهم عن رسالتهم أفاعيل السياسة ولم يقعدهم مال .

ومثل المصريين كمثل ابراهيم عليه السلام لما قلب وجهه في الكوكب والقمر والشمس باحثاً عن الله ، فلما أعياه البحث تداركه الله برحمته ، فهداه سواء السبيل [١] .

وأنا ممن يعتقدون أن القصص الديني لم يكن كله حديث خرافة ، فمهما خصبت عقول البشر ومهما حاول المرتزقة من كهنة المصريين القدماء أن يقدموا للناس غذاء روحياً دسماً من الأساطير يعيشون على حسابه ، فلم يكن في طوقهم ، ولا في طوق غيرهم ، أن يخترعوا شيئاً من لا شيء ، فقصة « أوزوريس وست » إذاً هي قصة الأحياء من بني الإنسان ، مثلتها الأيام وكان مسرحها جنبات الوادي الأخضر ، وليس للكهنة عليها من فضل ، اللهم إلا تأليه أشخاصها ، وجلوها ، وتجهيزها ، ثم زفها للناس .

وتتلخص القصة في أن « ست » حاكم الصعيد المشئوم قد حقد على أخيه « أوزوريس » حاكم الدلتا لعدله وحب الناس له ، فصنع له تابوتاً على قدّه واحتال عليه حتى أرقده فيه ، وأحكم عليه الغطاء ثم ألقاه في النيل ، وقذفته أمواج البحر إلى بيلوس (جبيل) من أعمال فينيقية (لبنان) ، وهناك أنبتَ الله عليه شجرة أرز وارفة أعجب بها حاكم تلك البلاد فقطعها ، وجعل منها عموداً يحمل سقف قصره ، وسمت « أيزيس » الزوجة المخلصة حتى عادت بتابوت الشهيد إلى الدلتا ، ثم كشفت الغطاء وأذرفت دمعة ساخنة سقطت على وجهه ، فأعادت إليه حياته بإذن الله ، إلا أن « ست » وافاه والمنية تسعى في ركابه ، فمزق الشهيد قطعاً وبعثر أشلاءه في أقاليم الوادي ... ثم عمد منه إلى عضو التذكير فبتره وألقى به إلى سمكة في النيل ، حتى لا ينجب ذرية قوية تنازعه الغلبة والسلطان .

إلا أن « إيزيس » التي حملت من روح زوجها أنجبت له

(١) سورة الأنعام : آيات ٧٥ ، ٧٨ .

« حوريس » فيعمل هذا على الانتقام لأبيه ، ويطلب الاحتكام في أمره وتبدأ أولى جلسات المحكمة في (أون) عين شمس ، ويخاف « ست » على هيئة المحكمة أن تعصف بها فتنة « إيزيس » الجميلة الساحرة ، وتنتقل المحكمة إلى قاعة العدل العليا في جزيرة فيلة عند الشلال الأول ، غير أن « إيزيس » تسافر إلى الشلال الأول وتطلب من أحد الملاحين أن ينقلها على سفينته إلى الجزيرة ويجيبها السفان أنه لن يستطيع هذا بأذن منها ، وتتمكن أخيراً من إغرائه بالذهب فيحملها إلى الجزيرة .

... وتتم كلمة الله ويجيء الحق ويزهق الباطل ويزهق معه روح « ست » .

ومنذ ذلك اليوم من فجر التاريخ إلى آخر أيام الفراعنة ، والملوك — إلا في فترات قصيرة — يعتبرون أنفسهم أحفاداً « لحوريس » وذلك لإقرار شرعية حكمهم ، ومن أجل هذا كتبوا أسماءهم داخل إطار فيما يحاكي رسم القصر الملكي ، وقد حطّ عليه الصقر رمز « حوريس » [١] مشرعاً هامته إلى السماء .



وتروي لنا القصة فيما تروي من أنباء الماضي أن مصر قد تذوقت لوناً من ألوان الوحدة تحت حكم ملك واحد فيما قبل أيام « مينا » مؤسس « الأسرة الأولى » . وتروي لنا أيضاً أن لمصر علاقة بلبنان قديمة قدم القصة ، وتطالعنا الآثار بأن مصر أفادت من خشب الأرز اللبناني في بناء السفن والتوابيت ، وأغلب الظن أن علاقتهما كانت علاقة الأخ الكريم بالأخ الكريم ، ولم تكن

(١) كان الأسد رمز الظاهر بيبرس .

غير ذلك طوال أيام تاريخهما ، إلا فى فترات التدخل الأجنبى وتسلطه البغيض .

ونحن لا ننظر إلى القصة من زاوية الخير والشر كما يفعل الوعاظ ، ولكن نراها من ناحية علاقتها التاريخية بالشلال الأول فالنيل شخصية واضحة تلازم البطل « أوزوريس » فى جميع مناظر القصة ، إلا ما كان منها خارج واديه ، بل لعل البطل يندمج مع النيل فى بعض فصول القصة . وشخصية «أوزوريس» فيما يظهر ، هى الصورة المجسمة العاملة المدبرة للنهر الميمون ، بل إن اختيار قاعتى العدل المزدوجة فى عين شمس أولا ، ثم فى الشلال الأول أخيراً على وجه التحديد ، كان بسبب وجود مقياسين للنيل عند منبعه وبدء تفرعه إلى أفرع كثيرة ليست من صلب النيل ، بل إن بعضها لا يمتلىء إلا فى فترة الفيضان - وقد كان للمقياسين أخصائيون يقيسون زيادته ونقصانه ويزنون مياهه ، ويرصدون عليه حركاته ، ثم يقدرون من وراء هذا كله دخل الحكومة وأرزاق الناس .

وعندى أن اهتمام المصريين بمنابع النيل عند الشلال الأول لم يكن عبثاً بل كان لابد لمنابع النيل من إدارة عليا تهيمن عليه ، لا تدانيها فى عظمتها إدارة الشمال ، كما هو الحال فى يومنا هذا ، فإن مصلحة الرى المصرى بالسودان توافى البلاد بأخبار النيل على الدوام .

ويعزز رأينا هذا ما قاله الملاح «لإيزيس» من أنه لا يستطيع أن ينقلها بإذن منها - يعنى بذلك أنه موظف مسئول وأنه لا يتلقى الأمر إلا من صاحب الأمر ، وتطالعنا الآثار بأن حاكم الجنوب اتخذ كرسيه فى جزيرة فيلة عند الشلال الأول متمتعاً بأقصى ما يتمتع به عامل من ثقة مليكه .

ونحن إذ نؤمن بوجود إدارة عليا للنيل عند منابعه مع وجود السفان وسفينته فى هذا المكان والاهتمام « بفينقيا » موطن أخشاب الأرز ، كل أولئك يحملنا على الترجيح بأن ملاحى الشلال الأول هم أول من أنشأوا السفن تجرى على صفحة النيل السعيد بسم الله مجريها ومرساها .

ولعل بين أسناد التاريخ الأثرية ما تكشفه لنا الأيام فيؤيد هذا بصورة قاطعة .

ولقد ظل ملاحو الشلال الأول محافظين على عهدهم مع النيل فصادقوه وحالفوه ، وعاشوا بين كنفه فأطلعهم على مكنون سره ودخائل نفسه ، فعرفوا كل صخرة من صخوره ، وخبروا كل شعبة من شعابه ، وتروى لنا مخلفات القدماء هنا بأن « أونى » أحد عمال « مون رع » فى جزيرة فيلة فى أيام الأسرة السادسة سنة ٢٣٢٨ قبل ميلاد المسيح تمكن من أن يقتطع طريقاً بين صخور الشلال ليفتح سبيلا لسفن صاحب الجلالة إلى الجنوب ، وبعد ذلك بستمائة سنة[١] تمكن عمال الشلال الأول أن يعيدوا لسنوسرت الثالث فتح هذا الطريق ثم لما كانت أيام تحتمس الثالث الذى مد الله فى سلطانه ، فأمست له أمبراطورية عريضة تمتد من « قرن الأرض إلى أطراف المياه المكوسة »[٢] ، أراد قمع الثائرين فى الجنوب ، فوجد القناة قد طمسها تيار النيل ، فأمر ملاحى الشلال الأول أن يعيدوا حفرها وهكذا مكنوه من العودة إلى طيبة بطريقها . ومن ثم وضع فى أيديهم أمر العناية بها[٣] لتبقى مفتوحة وتجرى التجارة بين الشمال والجنوب ولإيصال ثقافات الشمال إلى أبناء الجنوب فيؤلف الله بين قلوبهم ويصبحوا بنعمته إخواناً . أو للضرب على أيدى الخونة المارقين من أشياع إبليس ، الذين تتحرك فيهم الغرائز الدنيا ، ويدفعهم الأثرة وحب النفس وشهوة المادة إلى تدمير وحدة الوادى السعيد وتقطيع أوصاله ، لمغنم زائل ، أو لجاه زائف ، لا يلبث هذا أن يجرهم مقرنين بأصفاد الذلة ، ويطوح بهم إلى الحضيض من وادى العدم

فعليكم سلام الله ، أيها الأمجاد من أبناء « تاستى »[٤] وإلى اللقاء مرة أخرى فنحيى ساعة نستمرىء لذيذ ذكراكم العبقة بعطر الخلود .

(أسوان)

مصطفى كامل ابراهيم

وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

---

(١) راجع Breasted : A History of Egypt.

(٢) قرن الأرض عند دجلة والمياه المكوسة هى الفرات .

(٣) راجع Breasted : A History of Egypt.

(٤) مقاطعة الشلال الأول ، راجع تقوس جوسق سنوسرت بالكرنك .

من الأدب النسوي :

الغزل في شــــعر المرأة

للشــــيخ محمد رجب البيومي

— ٢ —

سنتكلم اليوم عن الغزل السافر ونمني به ما قالته المرأة ، لتذيع غرامها على رءوس الأشهاد ، فينقله عنها البعيد والقريب ، فهي إذن لا تخشى ملامة أو مسبة ، بل تقدم جريئة على تحمل ما يتهددها في موقفها الجريء .

ونعلن بادىء ذي بدء أننا لن نتعرض إلى غزل الجواري فيما نحن بصدده من الحديث ، لأننا نبحث عن النسيب الصادق الذي يضطرم بالعاطفة المشبوبة ، ويتأجج باللوعة المشتعلة ، وجل ما بأيدينا من غزل هؤلاء لا يهدف لغير الإغواء والتغرير ، بل كثيراً ماينحططن إلى مستوى لا يرضى عنه خلق نبيل ، حتى ليجوز لنا أن نشبههن بمن نرى من ساقطات المثلات ، حيث يشغلن الصحف الخليعة بالحديث عن رنين القبلات ، وحرارة العناق ، وما يقصدن — علم الله — غير العاقبة الذميمة والخداع المريب . على أنك لا ترى في شعر الجواري مواربة أو كناية ، بل تجد نفسك أمام صراحة فاضحة ، ومنطق مكشوف ، كأن تقول إحداهن وهو أهون ما يمكننا أن نستشهد به :

إني لأرجو أن تكون معانقي فتبيت مني فوق ثدي ناهد
وأراك بين خلاخلي ودمالجي وأراك دون مراحلي ومجاسدي

وأنا لا أنكر أن هذا تصوير صادق لما تنشده الجارية من أمل لذيذ ، فهو من هذه الناحية غزل يرتكز على الإحساس والشعور ، ولكن أدعو الشاعرة أن تبرز عاطفتها تلك ، في سياق فني ، يعتمد على التشبيه البارع ، والرقة المتسلسلة حتى تطرب قارئها برونق الأسلوب ، فينسى قسوة الفكرة ومرارة الهدف ، وأصدق مثال لذلك قول حفصة بنت الحاج القرطبية :

أزورك أم تزور فإن قلبي إلى ما تشتهي أبداً يميل
فثغري مورد عذب زلال وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى إذا وافى إليك بي المقيل
تفضل بالجواب فما جميل سكوتك عن بثينة يا جميل

فواضح جداً أن هدف الشاعرة الأولى هو بعينه هدف الشاعرة الثانية ، ولكن سياق حفصة جيل فاتن ، ولا غرو فهو طراز أندلسي أخذ جماله من عصره ، واستمد رقته من أهله فجاء صافياً كرآة النهر الوديع .

ولابد أن يعلم القارىء أن التصريح في نسيب المرأة كان في مجموعه أقل من التلميح . وقد قرأت في هذه الأيام أكثر ما روى لحواء من رائق التشبيب فلم أجد التصريح إلا في حالات خاصة تخفف من حدته ، وتشفع لقائلته أتم شفاعة ، وهي في جلتها لا تخرج عن حالات ثلاث :

فالحالة الأولى — وهي الجديرة بالإشفاق — تكون غالباً عند ما تفقد المرأة صوابها الراشد ، وفكرها المتيقظ ، فتندفع في تيار الحب أعنف اندفاع وأقساه ، ولاتعود تفكر في غير الشخصية المسيطرة على منافذ إحساسها ، القابضة على زمام فؤادها ، وما ظنك بمن توسل أشعارها الذائبة ناطقة بجنونها الشقى ، غير عابئة بما يلقاه بها الأقربون ، من صنوف الإيذاء والتعذيب كشقراء بنت الحباب ، فقد قاست في غرامها الطائش ما تقشعر لهوله الأبدان ، وطالما انهال عليها والدها بالسياط المحرقة تشوى الإهاب ، وتمزق الأعضاء ، وهي بعد لا تنسى في جحيمها المشتعل حبيبها يحيى بن حمزة بل تهتف :

ألاضرب في يحيي وبيني وبينه مهامه لوسارت بها الريح كلت
ألا ليت يحيى يوم عيهم زارنا وإن نهلت منا السياط وعلت

وكأني بوالدها وقد رحمها بعض الشيء فبعث إليها صواحبها لائمات عاذلات ، راجياً أن يثوب رشادها العازب إلى وكره ، فتنسى ما تهذر به للغادي والرائح ، ولكن أمل الحباب ينطفىء خابياً حين يجد ابنته تصيح في آذان اللائمات :

سأرعى ليحيي الحب ماهبت الصبا وإن قطعوا في ذاك عمدا لسانيا
فقد شف قلبي بعد طول تجلدي أحاديث من يحيى تشيب النواصيا

وهناك من الدنفات من لا تفرق بين النافع والضار ، فهي إذ تصطلى بجحيم الشوق اللافح ، لا تجد من تطلعه على خبيئة سرها غير والدها المنيف ؛ مع أن الأب — لو عقلت الفتاة — أول من

ينبغي أن يكتم عنه هذا النبأ المزعج ، وخاصة إذا كان من قساة البدو ، وجفاة الأعراب ، كوالد الخنساء التيحانية ، تلك التي علقت شـاباً من بني خفاجة يدعى جحوشا ، وقاست في حبها العارم ما أقض مضجعها ، وشرد نومها ، فكتمت أمرها عن صواحبها ، وبعثت إلى أبيها التيحان تقول في غير اكتراث :

وإن لنا بالشام لو نستطيعه ... حبيباً لنا « يانيحان » مصافيا
نعد له الأيام من حب ذكره ... ونحصي له « يانيحان » اللياليا
فليت المطايا قد رفعنك مصعداً ... تجوب بأيديها الحزون الفيافيا

وإذن فهي لا تكتفي بإزعاج والدها ، بل تتمنى أن يقود بنفسه مطاياه مصعداً إلى جنوب الشام ليكون رسولها الأمين إلى جحوش الحبيب ، والغرام جنون فاضح ، يولد الغرائب ، ويأتي بالمتناقضات ! !

أما الحالة الثانية : فلها من الظروف والملابسات ما يبررها لدى النصف الأريب ، إذ تكون العاشقة ثيباً مطلقة ، فلا تؤاخذ على هيامها مؤاخذة غيرها من العذارى الناهدات ، بل يُلقى لها الحبل على الغارب ، ويسلم إلى كفها الزمام . أضف إلى ذلك ما غرب عنها من خفر الكواعب ، فقد ودعته إلى غير رجعة ، يوم أن انخرطت في سلك الزوجات ، ولديك أم الضحاك المحاربية فقد أمسكت عن الشعر الغزلي ، حتى طلقها زوجها ، واحتمل عنها إلى مكان نازح ، فهاج بها الشوق واندفعت تقول :

سألت المحبين الذين تحملوا ... تباريح هذا الحب في سالف الدهر
فقلت لهم ما يذهب الحب بعدما ... تبوأ ما بين الجوانح والصدر
فقالوا شفاء الحب حب يزيله ... على الفور أو نأي طويل على الهجر
وما الحب إلا سمع أذن ونظرة ... ووجنة قلب عن حديث وعن ذكر

وسيعجب القارئ حين يجدها تكشف نقاب الحياء دفعة واحدة ، فتعبر عن الحقيقة المكظومة إذ تنشد :

شفاء الحب تقبيل وضم ... وجر بالبطون على البطون
ورهز تهمل العينان منه ... وأخذ بالمناكب والقرون

وفي رأيي أن الغيرة أساس كل بلاء ، فلولا أن الشاعرة قد تضايقت كثيراً بتطليقها واقتران زوجها بغيرها ، لما رددت هذا القول الجريء . وإن شئت فانظر إلى ولادة بنت المستكفي وهي كما تعلم ، جراءة قول ، وتكبر نفس ، فقد ضرع أمام جمالها الفاتن الوزيران الأديبان ابن زيدون وابن عمار ، فهزأت بهذا حيناً ، وسخرت بذلك أحياناً ، ولكن لم تكد ترى أبا الوليد يداعب جاريتها « عتبة » حتى دبت عقارب الغيرة إلى قلبها ، وعلت وجهها سحابة قاتمة ، من الضجر والضيق ، فتركت كبرياءها وكتبت إلى عاشقها تقول :

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا ... لم تهو جاريتي ولم تتخير
وتركت غصناً مثمراً بجماله ... وجنحت للغصن الذي لم يثمر
ولقد علمت بأنني (بدر) الدجى ... لكن ولعت لشقوتي (بالمشتري)

فكيف إذن نلوم أم الضحاك وقد أبدت ولادة العظيمة ما أبدت من الغيرة والاندفاع . على أن للمحاربية الخاملة في باب النسيب ما يضعها في منزلة ولادة النابهة ، وما زلتُ أردد في إعجاب قولها الرائع :

حديث لو ان اللحم يشوى بحره ... طرياً أتى أصحابه وهو منضجُ

ونعرج على الحالة الثالثة ، وهي كثيراً ما تتكرر أمامنا من حين إلى حين ، فقد تكون المرأة عاشقة صبة ، فتجاهد نفسها في إخفاء ما تكابدُ مجاهدة قاتلة ، ثم تمر الأعوام وراء الأعوام فإذا الشابة العاشقة تصير عجوزا شوهاء ، ذات أولاد وأحفاد ، وإذ ذاك لا تبالي بنقد ، أو تحفل بتجريح ، بل يطيبُ لها أن تجلس مع العذارى الناهدات ، قارئة تاريخ قلبها الحافل بالعجائب والغرائب ، دامعة على صباها الغارب ، وشبابها المرحوم ، ولا عليها في ذلك ما دام الجميع يتهمها بالهتر والتخريف ، وما دامت قريبة من القبر ، فهي هامة اليوم أو الغد ، وأي نقد يوجه إلى شمطاء شهربة ، تدب على العصا ، وتمشي بها مشي الأسير المكبل كمشرقة البدوية إذ تقول :

جريتُ مع العشاق في حلبة الهوى ... ففقتهمو سبقاً وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ... ولا خلعوا إلا الثياب التي أبلي
ولا شربوا كأساً من الحب حلوة ... ولا مُرة إلا شرابهمو فضلي

ومع ما في هذا القول من الصراحة التامة ، فإنه إذا قيس بشعر الرجل كان جميل الأثر ، طيب الوقع ؛ فنحن نرى الإباحيين من فحول الشعراء كامرىء القيس والفرزدق وبشار يطنبون في ذكرياتهم الماجنة ، إطناباً تنقبض له الصدور ، ولو أننا لا نريد

أن ننشر هـذا اللون من الإفك ، لذكرنا على سبيل الموازنة ماتحمرله الوجوه ؛ غيرأننا نضع أمام القارىء أبياتاً لابن أبى ربيعة قد تواضع فى سردها ، فلم يملأها بما عُهد عنه من إفك ، وهى رغم ذلك من الإباحية فى هوة لا ينحط إليها غزل الحرة ، مهما فحش ولذع . قال أبو الخطاب :

فتناولتها فـالت كغصن ... حركتـه ريح عليه فمارا
ثم كانت دون اللحاف لِمشغو ... ف معنّى بها صبوب شعارا
واشتكت شده الإزار من البهـ ... ـر وألقت عنها لدىّ الخمارا
حبّذا رجعها إليها يديها ... فى يدى درعها تحل الازارا !

وإن شئت أن ترى للمرأة شيئاً من طراز عمر المكشوف فارجع إلى ما هجّناه من غزل الجوارى فى صدر هذا المقال .

هذا وقد تكون الشاعرةُ مضطرة إلى التصريح بما يعجز عن بيانه اللفظ ويقف دونه الريق ، فتأتى بالمعنى الجلى ، فى تركيب قوى ، دون أن يصدمها المسلك الوعر ، ويجبهُها الواقع المرير ؛ فقد راودَ توبةُ بن الحمير الخفاجى صاحبته ليلى الأخيلية فشاحت عنه ، وأرادت أن تفهمه موقفها النبيل ، فلم تستعص عليها قافية أو تند عنها عبارة ، بل أجابته فى قوة أسر وبراعة نسج فهى تقول :

وذى حاجة قلنا له لا تبحْ بها ... فليس إليها ما حييت سبيلُ
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وحليل
تخالك تهوى غيرها فكأنما ... لها فى تظنيها عليك دليلُ

ولعمرى قد بلغت من السمو والروعة شأواً لم يصل إليه معنُ بن أوس ، حين اصطدم بصخرة كصخرتها العاتية فقد كان فى جاهليته يغشى أم مالك خليلته ، فأتت كعادتها إليه بعد إسلامه فقال من أبيات :

ولست كمهود الدار يا أم مالكٍ ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسلُ
وعاد الفتى كالكهل ليس بفاعل ... سوى الحق شيئاً فاستراح العوازل

وشتانَ ما بين القولين وإن اتحدت الواقعة ، واتفق المراد !!

ولليلى هذه مراث جيدة فى توبة وكانت تصلها بقليل من الغزل الرائق فتطرب النفوس فى موقفها الحزين ، وأشهد لقد دلت على أن بنات حواء كأبناء آدم ، متانة تركيب ، وجلجلة لفظ وارتفاع مسلك ، ويهمنا أن نعرض نسيبها الدامع إذ تقول فى معرض الرثاء :

هو المسك بالأرى الضحاكى شبته ... بدرياقة من خمر بيسان قرقف
فيا ألفَ ألف يوم تأتى مسـلّماً ... فألقاك مثل القسور المتطرف

وهناك من العاشقات غير ليلى مَن أبدعت كثيراً حين نهجت هذا النهج الجذاب ، وزادت فعمدت إلى الجناس الجميل إذ تقول:

كان مثل القضيب قداً ولكن ... قده صرف دهره أى قد

أو تقول :

هو الأبيض الريان لوضربت به ... نواح من الريان زالت هضابها

وهكذا تكون الدموع مسرحاً للتشبيب البهيج ! !

ولا نختم هذا الفصل دون أن نلم بنموذج من الغزل الصوفى الذى ترنمت به المرأة فنشرت أمام العيون بروداً قشيبة ، عطرة الذيول . وإذا صح مايقولون من أن الحب الصوفى فى مبدئه حب إنسانى شبَّ وترعرع حتى وصل إلى نهايته العلوية ، فالمرأة أشد قابلية له من الرجل ، لما نعلمه من تأثرها العميق ، وإحساسها الرقيق . ويكفى أن نستشهد برابعة العدوية رضى الله عنها فهى صاحبة اللواء الخفاق بين أخواتها المتصوفات ، ولها من النسيب الفائق جداول صافية تبل الصدى وتنقعُ الغليل كأن تقول :

أحبكَ حبين حب الهوى ... وحبٌّ لأنك أهـلٌ لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكركَ عمن سواكا
وأما الذى أنتَ أهـلٌ لهُ ... فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمدُ فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمدُ فى ذا وذاكا

ورابعة كما ينطق التاريخ قد سبقت الشعراء جميعاً إلى الغزل الالهى ففتحت بذلك الطريق لابن عربى وابن الفارض والبرعى ومن يجرى معهم فى ميدان التصوف الوسيع ، ولا أدرى كيف سكت محققو "الشعر النقدى" ثم يسجلوا بخط "البيبغاء" !!

(وبعد) فهذه مرآة لامعة تجلو لنا طرائف من الغزل النسوى ونحن حين نزفها إلى القراء والقارئات نتساءل فى عجب : أيوجد بين شاعراتنا الآن من لها — ولو فى غير الغزل — هذه الديباجة المشرقة ، والرقة المتسلسلة ؟ أم أن ذلك عهد مضى ولن يعود ؟ !

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

ربيعي في قلبي ...

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

أضاءت زماني نشوةً ومكانيا   حياةُ المنى رفّت بقلبي أغانيا
ربيعي في قلبي ونفسي وخاطري   أسير به حياً ... وأحياه هانيا
طريقي أعطارٌ تضوعُ، وبهجة   تشيعُ، وطيرطاف بالسعدشاديا
وحولي من معنى الربيع أزاهر
وفي النفس عطرُ الزهر قد فاض صافيا
وقد كنت قبل اليوم أسوان شاكيا
وقد كنت قبل اليوم لهفان باكيا
وقد كنت قبل اليوم وهماً مشرداً   إلى أمل يُمسي ويُصبح كابيا
إذا أشرقت في الأفق أنوار بُغيتي   رجعت وفي عيني من الليل ما بيا
فمن ذا الذي أحيا رمادي. والذي   أضاء زماني نشوةً ومكانيا
فعدت كما أهوى .. وتهوى مشاعري
ترف بعينيَّ الحيــــاةُ أمانيا

ربيعك يا ابن الشعر قد لاح. فانطلق
ربيعاً ... وفجر بالنشـــيد دمائيا
ففي الروح موجٌ من نعيمٍ تفجرت
ينابيعهُ سعداً . وفاضت تهانيا
تطالعك الأيام ... وهي بواسم   ويا طالمـا مرت عليك مآسيا
وترنو لدنياك البشائر حيّة   وقد كنت في دنيا البشائر فانيا
وحولك جنـّات. فقم وانطلق بها   حياةً وإحساساً وشعراً مواتيا

لدنياك . يا روح الربيع مشاعري
تفيض قصيداً طاهر اللحن ساميا
من الأمل البسام في جلوة المنى   يبدد يأسي ... أو يقبل عثاريا
من الدوح فيناناً ، من الزهر عاطراً
من النور فتّاناً يُضيء ظلاميـــا
من الروضة الخضراء ، من جنة الربى
من البلبل الشادي ، من النهر جاريا
من الظل والأنوار والزهر والشذا
من الحب ... من روحي وطهر فؤاديا
أصوغ لك الأشعار يا جنة الدنا   تُضي زماني نشوةً ومكانيا !

إذا رفّت الأعطار حولي ... تفتّحت
أزاهير نفسي واستنارت سمائيا
وأحسست أني صرتُ روحاً يقودُه
ويلهمه الأسرار وحْياً نقائيا
أحس دبيب المطرفي الزهر قبلما   تحس به الأزهار نشوان ساريا
وأسمع همس اللحن في كل نغمة   وأدركه نعسان في الطير خافيا !
كأن بنفسي عالمٌ لا يحدُّه   كيانٌ ولا تحدُوه بالحسي ذاتيا
أكاد أرى بالروح ما كان خافيا   وأدرك بالإلهام ما كان نائيا
تساميت عن دنيا الرغائب وانتهت   حياتي . لآفاق تسامت معانيا
وآمنت حتى خلت أني نبضة   بقلب الدنا. قد باركتها صلاتيا
وأدركت أني والربيع يقودني   أسير بأعماق الحياتين هاديا !
فتلك حياةُ الناس تنساب خدعة   توارت ولكن أراها كما هيا
وتلك حياةُ الروح من طهر مهجتي
تُفيء . ضميري عفةً وكيانيا
ينادمني منها سموٌّ ونشوةٌ   ويسكرها مني الحنين الذي بيا
حنيني لأعماق الحياة وسرها   وإني لأحياها هُدى وتساميا
فبارك حياتي يا ربيع وطف بها
على نبعك الفياض . واسكب حياتيا

ربيع المنى ، يا جنة الناي ، يا صدى
لأنشودة الفردوس يهتز شاديا
ربيع المنى ، يا جنّة العمر ، يا سناً
من الله ، يا هدياً يُضيء الدواجيا
زمانك أضحى فرحة سرمدية   ودنياك أحيت يا ربيع البواليا
وسهلك غذته الحياة ، وأرضعت
ورباك الصوادي فاستحالت مغانيا
أرى روحك النشوى تألق في الربى
ظلالا .. وأنواراً .. وخمراً .. وساقيا
فيا حانة الأزمان ! لا تنسي أنني   وكأسي في كفي أتيتك ساعيا
فإن أنت لم تغمر حياتي نشوة   لديك ... فلا ذنب علي ولا ليا
وحسبك أني جئتك اليوم شادياً
نعم. واسقني واشرب وبارك شرابيا !
فلي فيك شعر طاهر الخمر خالد   أضاء زماني نشوةً ومكانيا

حسين محمود البشبيشي

من وراء المنظار

فى حجرة البك الناظر ...

« البك الناظر » هى كلمة الإجلال التى يجرى بها العرف على ألسنة الطلاب والموظفين والأساتذة فى مدارسنا طول العام ، وعلى ألسنة آباء التلاميذ وأولياء أمورهم فى الأسبوع الأول من العام الدراسى فحسب ...

وافتتحت المدارس أول الأسبوع الماضى وجلس البك الناظر فى كل مدرسة على كرسيه المحترم أمام مكتبه الوقر وتأهب للقاء طالبى الأذن عليه وقد استجمع أكثر ما يطيق من الجد حتى لينقلب هذا الجد فى كثير من الحالات عنفاً ، وأقصى ما يستطيع من الحزم حتى ليستحيل هذا الحزم شططاً ، ولا يسمك إلا أن تلتمس العذر لأكثرهم من فرط ما يتوسل المتوسلون ويلحف الملحفون ...

ودخلت حجرة البك الناظر فى مدرستنا وهو رجل طويل التجربة حازم عن أصالة تهز كريماً إذ تهزه ، ولكنك على طيبة قلبه مهما بذلت من جهد ومهما اصطنعت من حيلة لا تستطيع أن تزحزحه قيد شعرة عن رأى اقتنع به وبخاصة فيما يتصل بسلوك طلابه ...

واستأذن والد أحد التلاميذ وهو موظف فى أحد الدواوين وطرق الباب طرقة خفيفة ودخل يظهر التخشع والاحتشام وسلم وتلعثم ثم أخذ يتوسل إلى الناظر أن يقبل ابنه المفصول رحمة به ؛ وقطع عليه الناظر حديث توسله بقوله : مثلت هذا الدور أول العام الماضى وقلت هذا الكلام وقبلت ابنك يوما على مضض فما كاد يدخل المدرسة حتى عاد إلى رذالته واستهتاره وطيشه ، وكان هذا سبب رسوبه فكيف تعود إلى الرجاء ، وكيف يتسنى لى أن أقبله ؟

وقال الرجل : وما ذنبى وكيف تأخذنى بجريرة ابنى؟وتعجب البك الناظر وأوشك أن يغضب ، ثم قال لم أفصلك ولكنى فصلت ابنك ، وما ذنب المدرسة وذنب أبناء الناس حتى أضع بينهم تلميذاً كهذا يفسد مدرسة وحده ؟ وعاد الرجل إلى التوسل والتضرع والتخشع ، واستنفد عبارات الاسترحام من مثل قوله السامح كريم ... المعروف لن يضيع عند الله ... اعمل معروفاً وحياة أولادك ... وهكذا حتى استحال الرجاء إلى نوع غريب من التنطع ؛ وضاق صدر الناظر وضاق صدرى ؛ ولكنى والله قد أخذتنى الشفقة وأحسبنى لو كنت البك الناظر ما كنت إلا مفسد المدرسة بنصف هذا التوسل بل بثلثه ... ولكن ناظرنا لم يشأ أن يستجيب له وخرج الرجل وهو يكاد يبكى ...

وما كدت أرثى لحال الناظر مما يلاقى من ضيق حتى طرق الباب قادم آخر ودخل فإذا برجل يدلف للسبعين فيما يبدو لعينى، حسن الهندام بادى الوجاهة يتوكأ على عصا ولكنه يخطو فى نشاط وإن كان فى مشيته عرج ، وقال قبل أن يصل إلى المكتب : أعذرنى يا سعادة البك إذ أدخل بعصاى فساقى مكسورة فى حادث سيارة ... وجلس وهو يتنفس فى عسر ويحاول أن يجد ريقاً فى فمه ليبتلعه فلا يكاد يجد إلا فى مشقة ؛ ولمحت فى عينيه الألم الممض وتعرفت فى وجهه حيرة ذى الكبرياء بين كبرياء نفسه وبين ما تفرضه ظروف الحياة ؛ واختلجت شفتا الرجل كأنما يجد عسراً فى إخراج الكلام ، ثم تنهد تنهدة طويلة ، وقال وإن كلامه ليتقطع بتقطع نفسه : أنا والد فلان وما جئت لأدافع عنه فابنى بطال ... بطال ... وإنما أردت أن أسألكم وأنتم أطباء الأرواح ماذا أصنع لملاجه . لقد ضربته الآن حتى بكيت وبكى ، وليست لى حيلة فيه وهو ابن هذه المدرسة طيلة خمس سنوات ... وتوقف الرجل ومد يداً معروقة ناحلة شاحبة وهو يحك سبابتها بوسطاها إذ يشير بهما ، وبلع شيئا من ريقه فى عسر وتنهد يستجمع نفسه وقال أريد أن أقول شيئاً آخر وإن لم يكن فى الموضوع .. ليس لى ولد غير هذا ولكن لى بنات ستا ... وهذا موضع أملى وأنا رجل أودع الدنيا وخدمت الأمة مهندساً عشرات السنين ...

ونظرت فإذا الرجل يحبس دمعه جاهداً وإذا العرق يلمح فى جبينه وقد أزاح بيده طربوشه عنه وصار يدق بكفه على قبضة عصاه دقات ويتأوه فى صوت خافت ، وتدلت شفته السفلى فكشفت عن ثناياه الذهبية التى لاءمت صفرتها صفرة خديه الذابلين الغائرين، والتفت إلى البك الناظر فإذا وجهه رثاء كله لحال الرجل حتى لقد ظننته قبل ابنه ؛ ولكنه أشار إلى وقال للرجل : هذا أستاذه فاسمع رأيه فيه ... وحرت والله ماذا أصنع وما أستطيع الكذب ... وفطن الرجل إلى حيرتى وإنه لذو فطنة وكياسة فقال أنا أعرف كل شىء وما جئت مدافعاً كما ذكرت وإنما عدمت الحيلة فأعينونى على أمرى . وكدت لعمر الله أبكى وأعود فأقول لو أننى البك الناظر لغفرت لهذا التلميذ ذنوبه الماضية

وذنوب عام قادم معها ؟ أقول ذلك على علم بأنه خروج على مايسمونه قواعد التربية ، ولكن ما الحيلة وأنا رجل ضعيف ، وإنى أحذر وزارة المعارف أن تجعلنى ناظراً أبداً وإلا أفسدت لها الدنيا ... وإن كنت لأزعم أن ما أصنعه من مغفرة إنما هو إصلاح وإن خفى ذلك على فحول التربية ...

وقال البك الناظر يوجه الكلام إلى الرجل وهو يدق مقبض عصاه ويتأوه ، لو كان الأمر أمر ابنك وحده لقبلته من أجل خاطرك ولكنى أبعدت سبعة غيره . وارتاح الرجل لهذه الكلمة وقال : هذا كلام طيب أشكرك عليه وهو من كرم خلقك ، ثم نهض يبتلع ريقه فى عسر ويستجمع نفسه المتقطع وسلم والألم والحسرة فى عينيه وملامحه ، وخرج من الحجرة يتكئ على عصاه ويكرر عبارات الشكر والتحية ...

وبعد ، أفلم يأن لمدارسنا أن تغير أسلوبها فلا تجعل المسألة يوماً يبدأ وينتهى على أية صورة وبرامج تقطع تأهباً لامتحانات فاسدة لا تدل على شىء ، ثم لا يبقى بعد ذلك التفات إلى خلق ولا عناية بتربية ولا رعاية لمستقبل أمة ؟ إن على مدارسنا التبعة قبل الآباء فى فساد من تطرد من الفاسدين ، وإن علينا أن نصلحهم أجمعين وإلا فبأى وجه نكون من المربين

الخفيف

الأدب والفن في أسبوع

الصورة الجديدة للأدب :

هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها الدكتور طه حسين بك مساء الجمعة برابطة خريجى جامعات فرنسا وسويسرا وبلجيكا .

وقد بدأ الدكتور بأن للأدب صوراً متعددة لا صورة واحدة ، وأن المقصود بهذه المحاضرة على وجه الدقة هو التصور الجديد للأدب ، وهو يختلف أشد الاختلاف بحسب العصور والبيئات . فقد كنا نقول منذ زمن قريب : الأدب مرآة الحياة ، والأديب صورة عصره . فنزهى بذلك ونعده غاية ما يصل إليه الأديب ، ولكننا الآن لا نطمئن إليه ولا نرضى به ، لا نرضى بأن يكون الأدب صورة فحسب بل نطالبه إلى ذلك بشىء آخر ، ثم قال إن الصلة بين الأديب وقرائه مبنية على حرية التعبير عما يريد ليؤثر بهذه الحرية فى قارئه . وإننا لنسأل الأديب : لم تكتب ؟ فيجيب فى تواضع : أكتب لنفسى ، أو يقول فى كبرياء وزهو : أكتب للأجيال القادمة . وربما قال : أكتب للمثقفين ، وهو على كل حال إنما يكتب ليُقرأ وليجد صداه . واستعرض الدكتور العلاقة بين الأديب ومستهلكى أدبه ، من العصور القديمة إلى هذا العصر فبين تطوراتها المتشابهة فى الأدب الفرنسى والأدب العربى من حيث أن الأديب كان فى كل منهما يخاطب طبقة خاصة محدودة أخذت تتسع وتكثر على مر الأزمان ، وإن كانت قد وقفت فى البيئة العربية عند ما أغار عليها المغيرون من خارجها ، وظلت فى جمودها إلى العصر الحديث ، وبين أن الأدب انتقل عند بزوغ شمس الإسلام ونزول القرآن ، وفى الثورة الفرنسية ، من مجرد تصوره للحياة إلى الجمع بين هذا التصوير وتوجيه الناس إلى مثل عليا.

وانتهى الدكتور من كل ذلك إلى أن الأديب فى هذا العصر وقد كثر قراؤه بانتشار التعليم ، لا ينبغى له أن يقتصر على الحرية فى التعبير والتصوير ، بل عليه أن يشعر إلى جانبها بالتبعات والواجبات ، فهو يكتب لجميع الناس وفيهم من يفهم ما يريد ، ومن يفهم بعض ما يريد ، ومن يفهم غير ما يريد ، فيجب عليه أن يسهل أدبه وييسره ليكون واضحاً مفهوماً للجميع ، والمجتمع الحديث لا يقنع منه أن يرى نفسه فى مرآته بل يتطلب منه أن ينزل من برجه العاجى ليعيش مع الناس فى بؤسهم ونعيمهم فيصور البؤس لتغييره والخلاص منه ، والنعيم للوصول إلى أسمى منه.

فالصورة أو التصور الجديد للأدب أن يحيا الأديب فى البيئة ويشارك الناس أحزانهم ومسراتهم ، لا ليصور ذلك فحسب ، بل ليضيف إلى التصوير التغيير والإصلاح للوصول بالجماهير إلى مستوى فيه السعادة والنعمة والخير .

ثم قال الدكتور : هذا هو سبيل الأديب إلى أن يكون نافعاً وله قراء . أما الأديب الذى ينظر فى النجوم ويشاهد أشعة القمر فى انعكاسها على مختلف الأشياء ولا يغادر برجه العاجى فلن يقرأه إلا المثقفون القليلون ، وقد يسرون منه ويعجبون به ، ولكنه ليس الأديب الذى يشعر إلى الحرية بالتبعات والواجبات ، وليس الأديب الذى يقبل عليه القراء فيجدون أنفسهم وأمانيهم ومطامحهم فيما يكتبه .

عود إلى قريب :

عند ما قال الدكتور طه إننا لا نكتفي من الأديب أن يكون مرآة عصره — داخلني شيء من الزهو الذي قال إنه يداخل الأدباء ، وقلت في نفسي : أيكون هذا الرجل الخطير قد قرأ ما كتبته فأثار في خاطره هذا الذي قال ؟

والذي كتبته كان تعليقاً على ما أفضى به إلى مجلة «الكتاب» من الرأي في شوقي وحافظ ، إذ قال بأنهما لم يبلغا من الشعر ما كان يجب لهما وللشعر العربي الحديث ، ومما علل به رأيه قوله : « فلم يكن هذان الشاعران إلا مرآتين صادقتين للعصر الذي عاشا فيه »

وكتبت تعليقاً على هذا : « ويحضرني — لذلك — رأي للدكتور طه حسين في كتابه (حديث الأربعاء) مؤداه أننا لا نعد الشاعر شاعراً إلا لأنه يعبر عن بيئته ويصور عصره فيحسن التعبير والتصوير . ورأي الدكتور طه في شوقي وحافظ أنهما لم يبلغا من الشعر ما يجب فأي الرأيين ما زال يرى ؟ »[1] .

وسواء أكان ما قاله في المحاضرة صدى ما أنفذته في الرسالة منذ أكثر من شهر أم لم يكن ، فإني أعتبره جواباً شافياً لذلك التساؤل . ولا أسوق هذا إشباعاً لما قلت إنه داخلني من الزهو ، وإنما أذكره لإزالة الغبار الذي علق برأي الدكتور طه في شوقي وحافظ من جراء ذلك التعليق .

فننا وشعورنا وبلادنا :

كتب بعض الكاتبين بجريدة الأهرام في تجميل القاهرة ، فأثاروا في هذا الموضوع مسألة وضع التماثيل في الميادين والحدائق لتجميلها ، وقالوا كما قلنا في عدد مضى من الرسالة بأن تمثال نهضة مصر لا قيمة له ولا داعي لاستمراره في ميدان المحطة . وقد اقترح أحدهم وضع التماثيل الفرعونية القائمة في الميادين لجذب السائحين إليها .. فرد عليه الأستاذ عبد القادر مختار المثال المعروف بأنه يجب أن تكون لنا نهضة فنية تساير ظروفنا الحالية ، فلا نكتفي بالتغني بالقديم واللجوء إليه كلما فكرنا في القيام بشيء ، وقال : « ولهذا يجب أن نشجع الفنانين المصريين على الإنتاج ومسايرة ظروف البلاد وتطورها ، فنضع تماثيلهم التي ترمز للنواحي الوطنية وتعالج شؤوننا القومية في الميادين والحدائق العامة حتى يتذوق الجمهور ما فيها من الفن وتكون وسيلة لهديه وتثقيفه وترقية إحساسه » .

وإني أضيف إلى عدم الاكتفاء بالتغني بالقديم واللجوء إليه كما قال الأستاذ المثال — أن هذا القديم لا يثير فينا الشعور المنشود لنهضتنا ومرامينا القومية ، وقد راقني من الأستاذ بيان الغرض من تجميل الميادين بالتماثيل المصرية بأنه تذوق الجمهور للفن وهديه ... الخ ، فلم ينزلق إلى ما انزلق إليه الآخرون من الحرص على جذب الأجانب وخشية وقوع أنظارهم على مقابحنا ، فإني أفهم أن نجمل البلاد لأهلها وتعرض عليهم بدائع الفنون لتربية الذوق الفني عندهم وتحفزهم إلى المثل العليا ، وهذه الأغراض نفسها ترفعنا في عين الأجانب وترغمهم على احترامنا . فلنتجه نحو أنفسنا ونشعر بشعورنا ونجمل بلادنا لنا ، وحسبنا ما بذلناه عبثاً في مراعاة أمزجة (الخواجات) والتزويق لهم ...

مهرجان الشباب الأدبي :

رأت المراقبة العامة للثقافة في وزارة المعارف أن تمكن شباب الجيل من إظهار مواهبه الادبية والفنية ، فألفت لجنة من الاساتذة عبد الرحمن كامل وعبد الله حبيب ومفيد الشوباشي والدكتور ابراهيم جمعة ، لتنظيم مهرجان أدبي فني يتبارى فيه الشباب الذين لم يتجاوزوا الخامسة والثلاثين ، في الشعر والزجل ، وفي الموسيقى والتصوير والنحت . وسيكون المهرجان الاول لسنة ١٩٤٨ في أوائل السنة ، ولم يعين موعده بعد ، على أن يكون بعد ذلك كل عام

وقد قصدت وزارة المعارف بهذه المباريات أن تحفز همة الشباب نحو الإجادة والتفوق ، وأن تتيح الفرصة لإظهار مواهبهم الأدبية والفنية .

ولا شك أن الشباب سيجدون في هذا المهرجان منفذاً لإبراز كفاياتهم الأدبية التي يتهمون شيوخ الأدب بأنهم يحولون دون ظهورها .

الشذوذ والتطرف :

كم هو ظريف هذا الذي يكتب إلى بتوقيع « البسام » فلا يكتفي بما كستني في الاتجاه الفكري ، بل يما كسني أيضاً في الاسم ، وإن هذا الصنيع ليخرجني عما يدل عليه اسمي (العباس) من العبوس ، فأبسم .. كأني أنا — لا هو — « البسام » .

قال البسام في رسالته : « قرأت كلمتك « الأديب بين العزوبة والزواج » ولا أريد أن أدخل في هذا الموضوع ، وإنما استرعى انتباهي قولك في الرد على الأستاذ سلامة موسى فيما قال

(١) العدد ٧٤٥ من الرسالة

به من أن الزواج يمنع الأديب أن يشذ أو يتطرف : (وهذا كله مع وقوفنا معه ونظرنا إلى الموضوع من الزاوية التي نظر إليه منها وهي التطرف في مهاجمة المجتمع ونظمه .

ولم يقل أحد بأن الأديب لا يكون فذاً مبتدعاً إلا إذا شذ عن المجتمع واصطدم به) فإني أراك بهذا غافلا أو متغافلا عن حقيقة بديهية ، وهي أن في المجتمع عادات سخيفة ومعتقدات باطلة وأن الأديب الحر هو الذي يهاجم هذه العادات والمعتقدات فلابد من الاصطدام » .

هون عليك يا صديقي البسام . إني موافقك على أن في المجتمع عادات سخيفة ومعتقدات باطلة ، وعلى أن الأديب الحر هو الذي يهاجم هذه العادات والمعتقدات ، أما الذي نختلف فيه فهو أنه لابد من الاصطدام ، إن الأديب الفذ المبتدع هو الذي يمثل للمجتمع سخيف عاداته وباطل معتقداته تمثيلا يجعله يلمس هذا السخف والبطلان ، عدته في ذلك فنه واقتداره على التمثيل والتصوير ، فيشعر المجتمع بنقصه ويتجه نحو الكمال ، ولا صدام .

أما من يصادم المجتمع فهو الذي تعوزه الكفاية الفنية فليجأ إلى مواجهته بالكلام المجرد، وقد يتخذه قرنين يلوح بهما ، وكثيراً مايتعمد المصادم ذو القرنين مخالفة الناس ليقول لهم : هأنذا ...

الأناشيد :

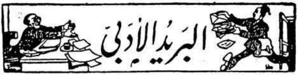
منذ كانت قضية مصر تعرض على مجلس الأمن وكانت إذاعتنا تذيع الأنباء وبعض ما ألقى من الخطب ، وكانت في فترات انتظار تجمع الأنباء تذيع ما تعودت إذاعته من الأغاني المزيلة التي تستعطف قلب الحبيب الهاجر . الخ ، وانبرت الأقلام تنبه على هذه الفوضى وتشير بأن تذاع بدل ذلك أناشيد حماسية تغذي الوعي القوي والشعور المتوثب — منذ ذلك الحين تنبهت الأذهان إلى الفراغ الهائل الذي يحتاج إلى أن يشغل بالأناشيد ، لأن الذي حدث أن الإذاعة أخرجت مالديها من الأناشيد الوطنية وأطلقتها على الآذان التي تحملت شدة وقعها وأبت أن تنفذها إلى القلوب لخلوها ممايصلح وقوداً لشرر الوطنية فيها ، فهذه أناشيد يتطرب بها بعض المغنين في لين وتكسر ..

وتلك أناشيد تنشدها جماعات من الصغار أو الكبار بطريقة آلية تخرج من حناجرهم ميتة رغم إعلاء الصوت بها ، ومن هذه أناشيد وصفوها بأنها قومية وضعت بعد معاهدة سنة ٩٣٦ وقت أن قيل ليس في الإمكان أبدع مما كان ، ولا تزال تلك هي أناشيدنا القومية لأننا لم نستعض عنها بجديد ولم نخل (طرفها) بعد . . . وكل هذه الأناشيد تشترك في أنها لا تؤدي شيئاً مما تجيش به الأفئدة في هذه الظروف وإنما هي كلام منظوم مؤلف من عبارات عامة و(أكلشيهات) مرسومة فنحن أسد العرين وحماة الحمى وأجدادنا مدوا أيديهم إلى الشمس وأمسكوا بقرصها الذهبي .الخ وليس ثمة شيء يصور واقع حياتنا وحاضر جهادنا ، أما التلحين والإلقاء فهما منسجمان مع التأليف .. نغمات عالية وعقائر مرتفعة ، كأن الشاعر الوطنية في مكان سحيق فهم يطلقون أقوى الحناجر لتبلغها الصيحات .. وأكبر دليل على أن تلك الأناشيد لا تنبض بحياة أننا لا نسمع أحداً يرددها طائعاً مختاراً . . ومن المخجل أنك لا تجد نشيداً واحداً يجري على الألسنة كما تجري الأغاني المبتذلة من مثل (حموده ياني !) .

وليست الأناشيد في مدارسنا بأحسن حالا ، فهي على ذلك القرار بدليل أن التلميذ لا يرددها في خارج المدرسة ، ومن أسباب قصورها أن المشرفين على الأناشيد في وزارة المعارف من ذوي الفن الموسيقي لهم خبرتهم في الإيقاع لا في التأليف لأنهم ليسوا من أهل الأدب ، وكثيراً ما يختارون ما يسهل تلحينه أو يوافق قوالب عندهم .

وقد تنبهت الوزارة لذلك فألفت لجنة من الأساتذة عبد الحميد السيد ومحمود غنيم ومحمد الأسمر منذ نحو ستة أشهر لوضع نظام لمسابقة أناشيد مدرسية . وأخيراً أتمت اللجنة مهمتها فاختارت عدداً من الأناشيد التي قدمت إليها ، والمهم في أمر هذه اللجنة أنها كتبت تقريراً عن مهمتها أشارت فيه إلى أن المسابقات ليست هي أضمن الطرق للحصول على الإنتاج الجيد ، لأن التجارب دلت على أن الشعراء المعتدين بأنفسهم يرغبون عن هذه المسابقات وقد اضطرت اللجنة فيما اختارته من الأناشيد إلى الإغضاء عن عيوب الصالح منها وإصلاح هذه العيوب ، وأشارت باتباع طريقة أخرى هي أن يختار بعض الأشخاص المعترف لهم بالكفاية ويكلفون بالإنتاج . ولاشك أننا الآن في حاجة إلى نشيد قوي له خواص الكائن الحي فيردده الجميع ، فما السبيل إليه ؟ أرى أن يختار عدد من شعرائنا الممتازين الذين يبدون استعداداً ، ويكلف كل منهم بوضع نشيد يؤجر عليه ، وتؤلف لجنة من ذوي الكفايات الأدبية والفنية لاختيار أحسنها . ولعل لدى قراء الرسالة من المقترحات ما ينفع في هذه المسألة فلا يضنون به .

« العباس »



معهد الجزيرة العربية :

لا يزال الذين يغارون على مستقبل الأدب العربي بجامعة فؤاد يبدون الأسف على ما أشيع من نقل الدكتور عبد الوهاب عزام بك من عمادة كلية الآداب إلى عمادة المفوضية المصرية في المملكة السعودية بعد أن خلا في الجامعة مكانا الأستاذين طه حسين بك وأحمد أمين بك ، ويقولون إن نقل الأستاذ العميد من السلك الأدبي إلى السلك السياسي خسارة لدراسة الأدب وقيادته لا تعوض

ولكن الذين يعرفون أن آل عزام من أولى العزم ، وأن عزمهم لا يكاد يعدو الإسلام والعروبة ، يعتقدون أنهم في كل وجهة وفي كل عمل إنما يجاهدون في سبيل الدين والأدب ، ويذكرون على سبيل المثال أن من رأي الدكتور عزام أن ينشأ في الجزيرة العربية معهد لدراستها من النواحي التاريخية والأدبية والجغرافية والجيولوجية تشرف عليه الحكومة السعودية ويتولى العمل فيه بعثة من جامعة فؤاد الأول أو لجنة من جامعة الدول العربية يكون من أعضائها الجغرافي والمهندس والأديب والطبيب والنباتي والمؤرخ ، فيزورون معالمها ، ويرودون مجاهلها ، ويضعون في ذلك الكتب المطولة والخرائط المفصلة التي تتمم ما بدأ به الأقدمون ، وتصحح ما أخطأ فيه المستشرقون ، وتعين المواضع التي ذكرت في القرآن الكريم ووردت في السيرة النبوية والقصص والأشعار والأمثال ، وتصف حيوان الجزيرة ونباتها ومعادنها وأحجارها على الأساليب العلمية الحديثة ؛ فإن الجزيرة مهد العرب ومنشأ تاريخهم ولغتهم ، ولا يزال الأدب العربي خارج الجزيرة يحمل ذكرى هذا الإقليم العظيم في الألفاظ والأخيلة والصور . فليس مما يزكو بالدول العربية اليوم أن تظل واقفة في علمها بالجزيرة عند ما كتب الهمداني في القرن الرابع ، أو تصبح عالة على ما يكتب الأوربيون في العصر الحاضر . فإذا كان نقل الدكتور عزام من الأدب إلى السياسة ، ومن مصر إلى الحجاز ، سبيلا إلى تنفيذ هذا الرأي ، وتحقيق هذا الغرض ، فإن العوض يكون أجل والمكسب يكون أعظم .

الفضاء والعدم :

اطلعت على ما كتبه الأستاذ نقولا الحداد في العدد ٧٤٨ من الرسالة الغراء عن الفضاء والعدم . وفيه يقول إن هذا الحيز الذي نسميه فضاء لابد أن يكون مشغولا بمادة حتما . وأنا أقول أنه لا يجوز لنا أن نبني أقوالنا في علم الطبيعة على الحتم هذا ، فإن أجازه حضرة الكاتب فيجوز لي ولأي شخص آخر أن يقول إن قوانين الجاذبية الأرضية التي صاغها إزاك نيوتن ناقصة حتما ولا يجوز الأخذ بها كقوانين ثابتة في علم الطبيعة ، إذ ربما كان هناك مكان على سطح الأرض تسقط فيه الأثقال من أسفل إلى أعلى ، وليس في وسع الأستاذ نقولا أو أي عالم من علماء الطبيعة أن يقول إن مكاناً كهذا لا وجود له في مكان ما على سطح الأرض ما دام في الأرض بقاع لم يردها رائد للتثبت من أن سقوط الأجسام يجري فيها طبق العادة ووفقاً لقوانين نيوتن . فإذا وجد ذلك المكان انهدم وانهار أثبت وأرسخ ما قام عليه بناء العلم من قوانين .

ونسي الأستاذ أو أغفل ما قاله أنيشتين في نظريته النسبية وما أجرى الكثير من علماء الطبيعة من تجارب علمية تنكر ما يسمى بالأثير .

أما انيشتين فقد قال إن السرعة النسبية بين جسمين ماديين قد يكون لها أثر محسوس في الظواهر المشاهدة ، أما السرعة المطلقة لجسم في الأثير الراكد فلا أثر لها في المشاهدات ولا وسيلة لقياسها ، وإذن فلا يجوز لنا أن نفترض وجود مكان مطلق إذا كانت كل الوسائل التي نملكها عاجزة عن قياس سرعتنا في هذا المكان . ولا معنى للقول بوجود أثير راكد إذا كنا لا نستطيع تحديد مقدار حركتنا في هذا الأثير ولا اتجاهها . وعليه يجب أن نعدل عن فرض وجود هذا الأثير المكاني وأن نقول بنسبية المكان

وثبوت سرعة الضوء حسب «تجربة ميكلسن ومورلي» مبدأ أساس في نظرية النسبية وهو قانون من قوانين الطبيعة وهو طبقا لمبدأ النسبية مستقل عن الزمان وعن المكان وعن الحركة ؛ وعلى ذلك فسرعة الضوء يجب أن تكون مستقلة عنها جميعاً .

أحمد محمد خلف

ضدان :

الضدان فى قانون المنطق يستحيل عليهما الاجتماع ، ويمكن لهما الارتفاع ولكنهما فى منطق السياسة ، يمكن اجتماعهما ، ويستحيل ارتفاعهما وهو منطق عجيب غريب . ومن ثم فهو مريب!

ذلك أن الروس والأمريكان ، لأول مرة يلتقيان . فيتفقان، وإن كان فى تلاقيهما معنى الفراق ، وفى فراقهما معنى التلاق ، فقد اجتمعا . ويا سوء ما اجتمعا ، على مشكلة فلسطين بالتقسيم ، وإن اختلفت مصلحتهما فى الصميم .

فأمريكا تريد أن تحتفظ لنفسها بالوشل ، عن طريق الدولة اليهودية المنتظرة ! وروسيا تريد أن تقيم الدليل على انجلترا بالفشل، عن طريق الحرب الأهلية المستعمرة . فيا لها من لعبة سياسية ، لاشرقية ولاغربية . قدانكشفت قناعها ، وبطل اجتماعها وارتفاعها

أيها العرب ، الجهادَ بالدماء . والدماء ، فإنه ليوشك أن يرد المنطق المعكوس ، قوة الواقع الملموس .

اسنا بكير أبو رهيلة

بيت فى قصيدة :

فى عدد (الهلال) الصادر فى نوفمبر الجارى قصيدة للشاعر الكبير الأستاذ على الجارم بك بعنوان « صحوة مصر » استوقفنى منها هذا البيت :

وإذا ما الأقوياء انتصروا فعلى الدنيا وأهليها العفاء !

إذ كيف لا ينتصر الأقوياء التراصون كالبنيان والله سبحانه وتعالى فى كتابه المنزل يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من (قوة) ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

إلا أن يكون المعنى بالأقوياء (الظالين) كالأحلاف

(الزيتون) عمر نائل

خضراء الدمن :

ذكرى فى عدد الرساله الأخير (إياكم وخضراء الدمن) على أنه حديث نبوى ، وأنه من جوامع الكلم .

وقد بسط علماء الجرح والتعديل القول فى هذا الخبر فرأوا أنه إلى الوضع أقرب منه إلى الصحة ، وقال العلامة المحدث العجلونى فى كتاب (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) : قال الدارقطنى : لا يصح من وجه .

احمد مصطفى عليبة

رسالة (الفن القصصى فى القرآن) والأزهر :

أصدر العلماء المدرسون فى كليات الأزهر وفى مقدمتهم الشيخ الشربينى من هيئة كبار العلماء ، والشيخ عبد الله عامر وكيل كلية الشريعة ، والشيخ عبد العزيز خطاب وكيل كلية أصول الدين ، والشيخ محمد أبو النجا وكيل كلية اللغة العربية ، الفتوى الشرعية التالية :

« اطلعنا على الاستفتاء المقدم من فضيلة الشيخ عبد الفتاح بدوى المدرس بكلية اللغة العربية عن النصوص الواردة فى رسالة الفن القصصى فى القرآن المقدمة من محمد أحمد أفندى خلف الله المعيد بكلية الآداب ، ونفتى بأن هذه النصوص مكفرة يخرج بها صاحبها من دين الإسلام ، وأنه متى ثبتت هذه النصوص ، فإن مؤلفها كافر ، والمشرف على تأليفها المقر لها كافر ، ويجب أن لايتصل أحد منهما بدراسة القرآن الكريم فى الجامعة أوسواها ، ويجب أن يعاقبا بما تقضى به قوانين المملكة المصرية ، لأن عملهما هذا خروج على الإسلام دين الدولة » . وقدأرسلت هذه الفتوى إلى المراجع العليا . وقد وجه النائب المحترم عبدالعزيز الصوفانى بك سؤالا إلى معالى وزير المعارف بشأن هذه الرسالة ، فطلب معاليه تأجيل الإجابة ، وطلب الرسالة من كلية الآداب ، وألف لجنة برياسته تضم بعض كبار العلماء وأساتذة الجامعة لدراستها من الناحية الدينية



الكتب المختارة :

١ – تاريخ المساجد الأثرية

التى صلى بها جلالة الملك فاروق فريضة الجمعة

تأليف الأستاذ حسن عبد الوهاب

يجود الدهر أحايين بملوك عظام ، هم قلائد حسان ، يتحلى بهم الزمان . ينسب العصر كله إليهم ، ويسمى بهم . وعلى يدهم يبعث العلم ، ويزهر الشعر ، ويزدهر الفن ، فإذا نهضت فرنسة بفضل لويس الرابع عشر ، ورفت الحضارة فى بغداد أيام الرشيد والمأمون وزهت دمشق أيام الوليد ، فإنما تفخر وتنهض اليوم مصر فى عهد الملك فاروق .

هذا العصر الذى يرعاه المليك اليوم ، عصر نهضة قوية رائعة ، بدأ بها محمد على الكبير ، وساهم فى تقويتها اسماعيل وفؤاد ، واليوم يدفع بها إلى الأمام جلالة الملك فاروق .

إن لديك أمثلة كثيراً عن تشجيع الملك العلم ، وأخذه بيد العلماء والأدباء ، والفنانين ، والكتاب الذى أحدثك اليوم عنه ، هو فضل للملك العظيم .

فلقد « استن جلالته سنة حسنة بأدائه فريضة الجمعة فى مساجد متفرقة من أنحاد عاصمة ملكه السعيد » .

« وخص جلالته المساجد الأثرية بعنايته ، فأولاها النصيب الأوفر من اختياره . وكان هذا أكبر الأسباب لإصلاحها وإعدادها ، إذ تفضل – رعاه الله – فأمر بإصلاح كثير منها »

وقد كان الأستاذ العالم حسن عبد الوهاب ، مفتش الآثار العربية فى القاهرة ، يكتب نبذة تاريخية عن هذه المساجد التى يصلى جلالة الملك بها فريضة الجمعة ، ثم رأى جمعها ، وشمله جلالة الملك برعايته ، فأمر بطبعها على نفقة جلالته .

فهذه الرعاية الملكية ، لرجل عالم ، عصامى ، بذ أقرانه بجده وتنقيره واطلاعه ؛ لآية من آيات عظمة المليك ، ودليل على روح جلالته المتوثبة للعلم المحبة للعلماء . وتشجيعه ومساهمته فى هذه النهضة التى يعود إليه الفضل الكبير منها

والكتاب فى جزأين . فى الأول « مجموعة من المساجد حوت أهمها وأكبرها . جمعت بين المسجد الجامع ، والمدرسة ، والخانقاه ، وتنوعت فيها العمارة الإسلامية فى عصورها المختلفة بعصر تنوعاً يساعد الباحث على الوقوف على تطور تصميماتها وزخارفها ، وتفاصيلها المعارية » .

وقد مهد الأستاذ المؤلف لكتابه تمهيداً حسناً موفقاً عن نشأة المساجد ، وعن أثر الدول الإسلامية التى حكمت مصر فى العمارة الإسلامية .

وقد اتبع الأستاذ طريقة جيدة فى كلامه على هذه الدارس أو المساجد ، فهو يترجم بادىء بدء للبانى ، ويدلنا على عصره وشأنه . ثم يتكلم على تاريخ المدرسة أو المسجد ، فيصفه وصفاً مستمداً من المصادر التاريخية القديمة الموثوقة ، ويضيف إليه الوصف العلمى الواقعى ، ويعرض عليك التصميم ويحدثك عن الإصلاحات المختلفة التى طرأت على الأثر التاريخى ويستشهد بالكتابات القديمة الموجودة فيه ، ويدلك على نواحى الجمال والروعة فى بنائه أو عمارته أو زيازته أو زخارفه ونقوشه ، وهو لا يغفل عن إيراد أقوال كبار الآثاريين الفرنسيين أو الإنجليز فى البناء الذى يتكلم عليه ، وعن مناقشتها ببصيرة ، إذا كان مجال المناقشة ذا سمة .

أما الجزء الثانى فهو مجموعة صور فوتوغرافية توضح المساجد التى تناولها المؤلف بالبحث فى الجزء الأول . وهى مجموعة ذات شأن لأنك تجد فيها « نماذج مختلفة للواجهات والأبواب والقباب والمنارات والمصاريع الخشبية المطعمة بالسن والمكسوة بالنحاس ، والزخارف المنقوشة على السن والخشب والرخام والحجر والجص . كما أنك تجد فيها أنموذجات من المنابر والمحاريب والوزرات والأرضيات الرخامية ، والشبابيك النحاسية ، والجصية ، والكتابات الكوفية ، والتربات مما يساعد الباحث والمهندس على تتبع تطور العمارة وتدرجها فى عصورها المختلفة » .

وفى هذا الجزء مائتان وخمس وسبعون صورة .

وقد أردف المؤلف بحثه بذكر المراجع العربية والمراجع

الفرنجية التي اعتمد عليها . وجعل لكتابه فهارس علمية مختلفة ، كفهرس الموضوعات ، وفهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن .

وقد عني بإخراج الكتاب عناية فائقة من حيث إخراجه الفني وطبعه وورقه .

إن هذا الكتاب لجدير بأن يقرأ ويقتنى ، وجدير بأن يرجع إليه في هذا الموضوع لأن فيه زبدة مطالعات ، وخبرة أعوام طوال .

وإن من واجبنا ، نحن الذين نهتم بالأمور الآثارية ، أن نهنيء المؤلف على كتابه ، كما هنأناه على نجاح المعرض الذي أقامه في مؤتمر الآثار بدمشق ، وأن نرفع آيات الشكر إلى جلالة الملك فاروق لرعايته العلم ، وتشجيعه العلماء ، وأمره أن يطبع هذا الكتاب القيم على نفقة جلالته .

٢ – بيان عن مشروع ري حمص – حماة

بمناسبة انعقاد المؤتمر الهندسي الثالث ، الذي انعقد في دمشق بين الثامن والحادي عشر من أيلول الفائت أصدرت مصلحة الري للمنطقة الجنوبية بدمشق[1] بياناً مفيداً عن مشروع ري حمص – حماة . بينت فيه شأن نهر العاصي وبحيرة حمص ، وتأثير الرياح في البحيرة ، ونظامها ، والسد القديم الذي كان فيها ، والسد القديم الممتد على طول ١١٢٠ متراً الذي صنع لها . ثم تكلمت على الأقنية التي تخرج منها لتروى الأراضي الواسعة الممتدة بين حمص وحماة والتي لا يمر العاصي منها .

والبيان مفيد جيد . وهو يوضح أشياء كثيرة عن هذا المشروع المفيد الجليل . وهو في ١٦ صفحة مسبوق بمخطط للأقنية التي تروى المناطق ، ومردف بست صور من صور تلك الأقنية .

فنشكر لمن أصدر هذه النشرة جهده .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) بالاشتراك مع القائمين على أمر المؤتمر الهندسي .

أطيـــاف

تأليف الأستاذ يوسف السباعي

الولد سر أبيه كما يقولون ، وإن هذه الحقيقة لتبدو واضحة الأثر في هذا التوافق الكبير بين « الابن » الأستاذ يوسف السباعي و« الأب » الكاتب الكبير الأستاذ محمد السباعي رحمة الله عليه.

كان السباعي الكبير فياض العاطفة ، مستوعب النظرة ، كثير الداخل ، يحاول جاهداً أن يعطيك كل ما في نفسه مفصلا وهذه هي المظاهر والسمات التي تتجلى في قصص « الابن » ويلمسها القارىء في هذه المجموعة التي أخرجها باسم « أطياف » .

وكان السباعي الكبير ينظر إلى الحياة على أنها لعبة ضخمة ، ويرى الناس ممثلين ، كل منهم يؤدي دوره على المسرح الفسيح ثم يتوارى خلف الستار ، وهذه هي أيضاً نظرة « الابن » إلى الحياة وإلى الناس ، وقد صدر مجموعته القصصية بتلك الكلمة المأثورة عن والده « نحن أطياف يلهى بها لاعب » ، وسمى المجموعة باسم « أطياف » ومن العجيب انك تجد هذه الفكرة تسيطر عليه حتى في تناول القصة ومعالجتها ، فهو يقف دائماً وراء أشخاصه ثم يحركهم كما يبدو له ، فرة يدفعهم إلى الأمام ، ومرة إلى الخلف وثالثة يلقي بهم في زحمة الحياة وهو واقف كأنه يتلهى بالتفرج عليهم

وأنت تقرأ في هذه المجموعة قصة جرت على شاطىء الأسكندرية وثانية حدثت في صميم الريف ، وثالثة وقعت في محيط أسرة من الأسرة العريقة المحافظة ، ألوان مختلفة ، وبيئات متباينة ، ولكنك تجد صاحبنا في كل بيئة كأنه يقيم فيها ، ويقف على أسرارها ومظاهرها ، ثم هو لا يكرر نفسه أبداً ، كما يصنع بعض الشبان الذين يعالجون كتابة القصة في هذه الأيام ، إذ تجد الواحد منهم في كل ما يكتب يسير في طريق واحد لا يتعداه ويقف عند نمط من الوقائع كأنه لا يعرف سواه ...

ولكن هناك ناحية يلمس فيها القارىء هوة بعيدة بين « الأب » و « الابن » فقد كان السباعي الكبير في أسلوبه قوة وكان يغضب ويثور إذ يقع على خطأ عربي لأحد الكتاب ، فيا ترى ماذا كان يصنع لو أنه رأى في أسلوب « الابن » ما فيه من مفارقات ؟

محمد فهمي عبد اللطيف